سورة الحجر

مكية وآياتها تسع وتسعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾

الاعراب :

(ألر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) الر تقدم اعرابها وتلك مبتدأ وآيات الكتاب خبر وقرآن عطف على الكتاب ومبين صفة للقرآن وساغ عطف قرآن على الكتاب وإن كان المراد واحداً للتعدد اللفظي

والتغاير فيه ولزيادة صفة في المعطوف وهي مبين وجميل قول البيضاوي: « تنكير القرآن للتفخيم وكذا تعريف الكتاب » • (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) ربما : كافة ومكفوفة ، قال أبو حيان : « ولما كانت « رب » عند الأكثرين لا تدخل على مستقبل تأولوا يود في معنى ود لما كان المستقبل في اخبار الله لتحقق وقوعه كالماضي فكأنه قيل ود وليس ذلك بلازم بل قد تدخل على المستقبل لكنه قليل بالنسبة الى دخولها على الماضي ومما وردت فيه للمستقبل قول هند أم معاوية :

يا رب قائلة غدا يا لهف أم معاويه

وقول جحدر :

فإن أهلك فرب فتى سيبكي عليّ مهذّب رخص البنان

وسيأتي قول مسهب فيها في باب الفوائد ، ويود الذين فعل مضارع وفاعل وجملة كفروا صلة ولو مصدرية لوقوعها بعد يود وهي مع مدخولها في تأويل مصدر هو المفعول للودادة والمعنى يودون كونهم مسلمين ، ويجوز أن تكون لو امتناعية ويكون جوابها محذوفاً تقديره لو كانوا مسلمين لسروا بذلك اذ تخلصوا مما هم فيه ومفعول يود على هذا التقدير أي ربما يود الذين كفروا النجاة • (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) ذرهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وقد تقدم أن هذا الأمر وأمر دع لا يستعمل لهما ماض إلا قليلاً بل يستعمل منهما المضارع نحو « ونذرهم في طغيانهم » ويأكلوا جواب مجزوم على انه جواب الامر ويتمتعوا عطف على يأكلوا وكذلك يلههم الأمل والأمل فاعل ، فسوف الفاء الفصيحة وسوف حرف استقبال

ويعلمون فعل وفاعل والمفعول محذوف أي عاقبة أمرهم وسوء صنيعهم .
(وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) الواو استئنافية وما نافية وأهلكنا فعل وفاعل ومن حرف جر زائد وقرية مجرور لفظاً ومنصوب محلاً على المفعولية وإلا أداة حصر والواو حالية ولها خبر مقدم وكتاب مبتدأ مؤخر ومعلوم صفة للكتاب والجملة حالية وقيل الواو زائدة واختار الزمخشري وجهاً آخر وهو أن تكون جملة لها كتاب معلوم صفة لقرية قال : « والقياس أن لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى : « وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون » وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال : « جاءني زيد عليه ثوب وعليه ثوب » وسيأتي مزيد بحث عن هذا التركيب في باب الفوائد .
(ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) ما نافية وتسبق فعل مضارع ومن حرف جر زائد وأمة فاعل تسبق محلاً وهي مجرورة لفظاً وأجلها مفعول به وما يستأخرون عطف على ما تسبق وحمل على لفظ أمة أجلها فأفرد وأنث وعلى معناها قوله وما يستأخرون فجمع وذكر . (وقالوا : يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون) الواو استئنافية وقالوا فعل وفاعل وجملة يا أيها الذي نزل الخ مقول القول ويا حرف نداء وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب والهاء للتنبيه والذي بدل من أي وجملة نزل صلة وعليه متعلقان بنزل والذكر نائب فاعل وإن واسمها واللام المزحلقة ومجنون خبر إن . (لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين) لوما حرف تحضيض كهلا وتكون حرف امتناع لوجود والفرق بينهما أن التحضيضية لا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً والامتناعية لا يليها إلا الأسماء وقد تقدم بسط ذلك وسيأتي مزيد من بحث لوما . وتأتينا فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وبالملائكة متعلقان بتأتينا وإن شرطية وكنت كان واسمها

ومن الصادقين خبرها وجواب إن محـــذوف تقديره آتيتنا بالملائكة • (ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذن منظرين) كلام مستأنف مسوق للرد على دعواهم وفيه لف ونشر مشوش وسيأتي حكمه في باب البلاغة وما نافية وننزل فعل مضارع فاعله مستتر تقديره نحن والملائكة مفعول به • وإلا أداة حصر وبالحق حال أي ملتبساً بالحق فالباء للملابسة ويجوز تعليقه بنزل وجعله الزمخشري نعتاً لمصدر محذوف أي الا تنزلاً ملتبساً بالحق والجميع جائز والواو عاطفة وما نافية وكانوا كان واسمها وإذن حرف جواب وجزاء مهمل ومنظرين خبر كان • (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ان واسمها ونحن تأكيد لاسم ان أو ضمير فصل لا محل له وجملة نزلنا خبر إن وإنا عطف وله متعلقان بحافظون واللام المزحلقة وحافظون خبر انا • (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولـين) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وأرسلنا فعل وفاعل ومن قبلك صفة للمفعول به المحذوف المفهوم من منطوق الارسال أي رسلاً من قبلك وفي شيع الأولين نعت آخر للمفعول المحذوف والشيع جمعة شيعة وهي الفرقة المتفقة عـلى طريق ومـذهب • (وما يأتيهـم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) الواو عاطفة وما نافية ويأتيهم فعل ومفعول به ومن حرف جر زائد ورسول مجرور لفظاً مرفوع محلاً عـلى الفاعلية وإلا أداة حصر وكانوا كان واسمها وبه متعلقـان بيستهزئون وجملة يستهزئون خبر كانوا وجمـلة كانوا به يستهزئون حـال أو صفـة لرسول • قال الزمخشري : « وما يأتيهم حكاية حال ماضية لأن « ما » لا تدخل على مضارع إلا وهو في موضع الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال » وهذا الذي ذكره الزمخشري هو قول الأكثر من أن « ما » تخلص المضارع للحال وتعينه له وذهب غيره الى أن ما يكثر دخولها على

المضارع مراداً به الحال وتدخل عليه مراداً به الاستقبال وأنشد على ذلك قول أبي ذؤيب :

أودى بنيّ وأعقبوني حسـرة عند الرقاد وعبرة ما تقلع

وقول الأعشى يمدح الرسول عليه السلام :

له نافلات ما يغب نوالهـا وليس عطاء اليوم مانعه غدا

البلاغـة :

١ ـ التعبير بالضد : في قوله : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » اختلف علماء البلاغـة في المراد بهذا التعبير وقد قرر النحاة أن ربما لا تدخل إلا على الماضي ؟ وما المراد بمعنى التقليل الذي تفيده رب ؟ وقد أجيب عن الاول بأن المترقب في اخبار الله تعالى بمثابة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود ، وأجيب عن الثاني بأن هـذا مذهب وارد على سنن العرب في قولهم لعلك ستندم عـلى فعلك وربما ندم الانسان على ما يفعل ولا يشكون في ندامتـه ولا يقصدون تقليله والعقلاء يتحرزون من التعرض من المظنون كما يتحرزون من المتيقن الثابت وهذا الجواب جميل ولكن الاجمل منه أن يقـال : إن العرب تعبر عن المعنى بمـا يؤدي عكس مقصـوده ومنه قـول أبي الطيب المتنبي :

ولجدت حتى كـدت تبخل حائلاً

للمنتهى ومن السرور بكـاء

وقد سبقت الاشارة الى هذا الفن الجميل وكلا هذين الوجهين يحمل الكلام على المبالغة بنوع من الايقاظ اليها والعمدة في ذلك على سياق الكلام .

٢ ـ اللف والنشر المشوش : وقد تقدم ذكر هذا الفن وذلك في قوله تعالى : ما ننزل ... رداً على مقالتهم الثانية وهي « لوما تأتينا بالملائكة » أما رده على مقالتهم الأولى وهي « انك لمجنون » فهو قوله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ثم أردف ذلك بقوله ولقد أرسلنا من قبلك الى آخر الآية أي أن هذا ديدنهم وديدن الجاهلية مع جميع الأنبياء فلا تبتئس واقتد بمن قبلك وتأسّ بهم .

الفوائد :

١ ـ (رب) ويقال رُبت وربما وربتما وقد تخفف حرف جر للتقليل أو للتكثير حسبما يستفاد من سياق الكلام ولا يدخل الا على نكرة وهو في حكم الزائد فلا يتعلق بشيء نحو : رب جهل رفع ، وإذا لحقته « ما » كفته عن العمل فيجوز دخوله على الافعال والمعارف فتقول ربما أقبل الخليل وربما الخليل مقبل وقد يبقى على عمله كقوله « ربما ضربة بسيف صقيل » وتكف بما فتدخل حينئذ على الاسم والفعل وتصير كحرف الابتداء يقع بعدها الجملة من الفعل والفاعل كقوله :

ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال

والمبتدأ والخبر كقول أبي دؤاد الايادي :

ربما الجامل المؤبل فيهم وعناجيج بينهنّ المهار

وتخلفها الواو كقول امرىء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله

علي بأنواع الهموم ليبتلي

كما تخلفها الفاء كقول امرىء القيس أيضاً :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع

فألهيتها عن ذي تمائم محول

هذا ورب في الآية معناها التكثير كما قال الشاعر :

رب رفد هرقته ذلك اليو م وأسرى من معشر أقيال

أما علة دخوله على النكرة واختصاصها بها لأن النكرة تدل على الشيوع فيجوز فيها التقليل لقبولها التقليل ، والتكثير لقبولها التكثير وأما المعرفة فمعلومة المقدر لا تحتمل تقليلاً ولا تكثيراً ، ولكنها قد تدخل في السعة على المضمر كما تدخل على المظهر مثل دخول الكاف في الضرورة كقول العجاج :

كل الذنابات شمالاً كثبا وأم أوعال كها أو أقربا

إلا أن الضمير بعد رب يلزم الإفراد والتذكير والتفسير بتمييز يأتي بعده نحو ربه رجلا عرفته وربه امرأة لقيها وقال ابن النحاس : « اختلف في الضمير العائد الى النكرة هل هو معرفة أو نكرة فإن قلنا بأن ضمير النكرة نكرة وبه قال السيرافي والزمخشري وجماعة فلا إشكال في دخول رب على الضمير لأنه لما أبهم من جهة تقديمه على المفسر من جهة وقوعه للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد وشاع من جهة

تفسيره بالنكرة صار فيه من الإبهام والشيوع ما قارب به النكرة فجاز دخول رب عليه • وقال الشيخ ابن النحاس : لا بد للمخفوض بها أو بما ناب منابها من الصفة أولاً فمن الناس من قال منهم بعدم اللزوم ومنهم من قال باللزوم كأبي علي الزمخشري وابن عصفور واحتجوا لذلك بأن الصفة في النكرة للتخصيص فهي تفيد الموصوف تقليلاً فيوافق المعنى المقصود في أن رب للتقليل » وقال الشيخ بهاء الدين أيضاً « إنما جاز : رب رجل وأخيه ، ولم يجز : رب أخيه ، لأن الثواني يجوز فيها ما لم يجز في الأوائل من قبل انه إذا كان ثانياً يكون ما قبله قد وفى الموضوع حقه فيما يقتضيه فجاز التوسع في ثاني الأمر بخلاف ما إذا أتينا بالتوسع في أول الأمر فإنا حينئذ لا نعطي الموضع شيئاً مما يستحقه ، هذا اذا لم نقل إن المضاف الى ضمير النكرة نكرة فإن قلنا انه نكرة كان الجواز أسوغ » قال : « ولا يكون العامل فيها إلا بمعنى المضي كقولك رب رجل جواد لقيته أو أنا لاق أو هو ملقي ولا تقول : رب رجل جواد سألقى أو لألقين لأن التقليل في الماضي شائع ولا كذلك في المستقبل لأنه لم يعلم فيتحقق تقليله » قال : وتلزم أبداً الصدر لشبهها بحرف النفي من جهة مقاربة التقليل للنفي لأن النفي اعدام الشيء وتقليله تقريب من إعدامه ولأن العرب استعملوا القليل في موضع النفي قال الشاعر :

قلما يبرح المطيع هواه كلفاً ذا صبابة وجنون

معناه ما يبرح المطيع هواه كلفاً •

وهناك أبحاث تتعلق برب لا يتسع لها صدر هذه الفوائد •

٢ ــ واو الحال أيضاً : مما توهم فيه النحاة اشتراطهم في واو الحال عدم اقترانها بإلا الإيجابية ومن العجيب أن يتورط في هذا الوهم

ابن هشام في شرحه لألفية ابن مالك ويشايعه في وهمه الشيخ خالد الأزهري فإن ذلك ثابت في فصيح الكلام وهو هذه الآية « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » وقول الشاعر كما قال شارح اللب :

نعم امرأ هرم لم تعر نائبه إلا وكان لمرتاع بها وزرا

وكأن الزمخشري شايع القائلين بعدم الجواز فجعل الجملة صفة والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف .

٣ ـ لوما : لوما ولولا لهما وجهان أحدهما أن يدلا على امتناع جوابهما لوجود تاليهما فيختصان بالجمل الاسمية والى ذلك أشار ابن مالك بقوله في الخلاصة :

لولا ولوما يلزمان الابتدا إذا امتناعاً بوجود عقدا

نحو قوله تعالى : « لولا أنتم لكنا مؤمنين » وقول الشاعر :

لوما الاصاخة للوشاة لكان لي

من بعد سخطك في رضاك رجاء

والوجه الثاني أن يدلا على التحضيض فيختصان بالجمل الفعلية نحو « لوما تأتينا بالملائكة » .

كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ

يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾

اللغـــة :

(نسلكه) : ندخله يقال سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها وفي المختار : « السلك بالكسر الخيط وبالفتح مصدر سلك الشيء في الشيء فانسلك أي أدخله فيه فدخل وبابه نصر قال الله تعالى: « كذلك نسلكه في قلوب المجرمين » واسلك لغة فيه » وفي القاموس وغيره : سلك يسلـُك بضم اللام في المضارع سلكاً وسلوكاً المكان دخل فيه والطريق سار فيه متبعاً إياه وأسلك الشيء في الشيء أدخله فيه كما يسلك الخيط في الإبرة وسلكـه المكان وأسلكـه المكان وفيه وعليه أدخله فيه .

(سُكرت): حيرت أو حبست من الأبصار أو سدت يقال سكرت النهـر سكراً من باب قتـل سددته والسكر بالكسر ما يسد به وفي القاموس وشرحه وغيرهما : سكر يسكر الإناء سكراً من باب قتل : ملأه والنهرَ جعـل له سداً والبابَ سده وسكرت الريح سُكوراً

وسكراناً سكنت والحر فتر وسُكر ، وسُكِّر بصره تحير وحبس عن النظر وسكر يسكر من باب علم الحوض امتلأ وسكر الرجل عليه اغتاظ وغضب وسكِر سَكَراً ، وسَكْراً وسُكْراً وسُكُراً وسَكَراناً من الشراب نقيض صحا فهو سَكِر وسكران وهي سَكِرة وسَكْرى وسكرانة والجمع سَكْرى وسُكارى وسَكارى • وللسين مع الكاف إذا وقعتا فاء وعيناً للفعل معنى التأثير في الشيء واحداث الأثر فيه يقال سكب الماء سفحه وصبه وماء ودم أسكوب قالت جنوب أخت عمرو ذي الكلب :

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها مثعنجر من دم الأجواف أُسكوب

وهذا أمر سَكْب وسُنّة سكب : حتم قال لقيط بن زرارة لأخيه معبد وقد طلب اليه حين أسر أن يفديه بمئتين من الإبل : ما أنا بمنط (أي بمعط) عنك شيئاً يكون على أهل بيتك سنة سكباً ، ويدرب له الناس بنا درباً وسكت الرجل أصابته علة منعته من الكلام ورجل سَكوت وساكوت وسكّيت وبه سُكات إذا كان طويل السكوت من علة وللحُبلى صرخة ثم سكتة ، ومن المجاز ضربته حتى أسكتّ حركته، والسَّكتة : داء معروف تتعطل به الأعضاء عن الحسّ والحركة إلا التنفس والسُّكتة : ما تبقى في الوعاء وما تسكت به الصبيّ أو غيره والسُّكات داء يمنع من الحيات والسكات من الحياة ما يلدغ قبل أن يُشعَر به • وسكع يسكع من بابي فهم وفتح سكْعاً وسكَعاً مشى على غير هدى لتأثره وفلان يتسكع لا يدري أين يتوجّه من أرض الله وتسكّع في الظلمة خبط فيها قال :

أيادي بيضاً بيّضت وجه مطلبي

وقد كنت في ظلمائه أتسكع

وسئل بعض العرب عن قوله تعالى : « في طغيانهم يعمهون » فقال: في عمههم يتسكعون ، وهو إسكاف بكسر الهمزة من الأساكفة وهو الخراز وقيل : كل صانع ، وما وطئت أُسْكُفَّةَ بابه ، وما تسكّفت بابه ووالله لا أتسكّف له بيتاً ، ومن المجاز وقفت الدمعة على أسكفّة عينه أي على جفنها الأسفل ، وسكّ الباب سده بالحديد وسكّ البئر حفرها وسك أذنيه اصطلمهما وسك النّعام ما في بطنه : رمى به رقيقاً يقال : ما سك سمعي مثل ذلك الكلام أي ما دخل وضرب هذا الدرهم في سكة فلان وشقّ الأرض بالسِّكة وله سِكة من نخل وهو يسكن سكّة بني فلان وهي الزقاق الواسع ، ومن المجاز استكت مسامعه : صمت ، قال النابغة :

أتاني أبيت اللعين أنك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع

وسكن المتحرك وأسكنته وسكّنته وتناسبت حركاته وسكناته وسكنوا الدار وسكنوا فيهاوأسكنتهم الداروأسكنتهم فيها ، ومن المجاز سكنت نفسي بعد الاضطراب وعلمته علماً سكنت إليه النفس ومالي سكن أي من أسكن اليه من امرأة أو حميم ، قال أبو الطيب :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

وعليه سكينة ووقار ودعة ولهم ضرب يزيل الهام عن سكناته . قال النابغة :

بضرب يزيل الهام عن سكناته

وطعن كايزاغ المخاض الضوارب

وهذا ــ كما يبدو ــ أشبه بأن يكون مقصوداً ولكن لغتنا ولدت مع الالهام متمشية مع خواطر النفوس وهواجسها .

(بروجاً) : جمع برج وبروج السماء اثنا عشر ــ كما كانوا يقولون ــ وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ، قالوا : وهي منازل الكواكب السبعة السيارة : المريخ وله الحمل والعقرب ، والزُهَرة ولها الثور والميزان ، وعُطارد (ويمنع من الصرف لصيغة منتهى الجموع) وله الجوزاء والسنبلة ، والقمر وله السرطان ، والشمس ولها الأسد ، والمشتري وله القوس والحوت ، وزحل (بمنع انصرف للعلمية والعدل كعمر) وله الجدي والدلو ، ولم نورد هذه الاسماء على سبيل التحقيق العلمي فقد بدل العلم الكثير من هذه المعلومات الابتدائية واكتشف مالم يكن يدور بالخلد والحسبان ولكننا أوردناها للفوائد اللغوية فقط .

(استرق) : خطفه وسرقه وسارقه النظر مثله واسترق الكاتب بعض المحاسبات اذا لم يبرزه .

(شهاب) : الشهاب كل مضيء متولد من النار وما يرى كأنه كوكب انقضّ والكوكب عموماً والسنان لما فيه من البريق والجمع شهب ، قال أبو تمام وجانس :

والعلم في شهب الأرماح ساطعة

بين الخمسين لا في السبعة الشهب

(معايش) : جمع معيشة وهي ما يعيش به الانسان مدة حياته من المطاعم والمشارب والملابس وهي بياء صريحة بخلاف الشمائل

والخبائث وذلك لأن الياء في معايش أصلية في المفرد والمدّ في المفرد لا يقلب همزاً في الجمع إلا إذا كان زائداً في المفرد كما قال ابن مالك في الخلاصة :

والمد زيد ثالثاً في الواحد همزاً يرى في مثل كالقلائد

الاعراب :

(كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) الكاف نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الادخال ندخله في قلوب المجرمين ونسلكه فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وفي قلوب المجرمين متعلقان بنسلكه . (لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين) الجملة في محل نصب على الحال ويجوز أن تكون مفسرة لقوله نسلكه فلا محل لها ويؤمنون فعل مضارع وفاعل وبه جار ومجرور متعلقان بيؤمنون وقد : الواو حالية وقد حرف تحقيق وخلت سنة الأولين فعل وفاعل والجملة حالية ويجوز أن تكون الواو استئنافية والجملة مستأنفة أي مضت سنة الله في إهلاكهم وتعذيبهم . (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون) الواو عاطفة ولو امتناعية شرطية وفتحنا فعل وفاعل وعليهم متعلقان بفتحنا وباباً مفعول به ومن السماء صفة لباباً والفاء عاطفة وظل واسمها وسيأتي في باب البلاغة ذكر الضمير في يعرجون وفيه متعلقان بيعرجون وجملة يعرجون خبر ظل . (لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) اللام واقعة في جواب لو وقالوا فعل وفاعل وانما كافة ومكفوفة وسكرت أبصارنا فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب لو وجملة إنما سكرت أبصارنا مقول القول

وجملة نحن قوم مسحورون تابعة لجملة سكرت أبصارنا ، وبل حرف اضراب ونحن مبتدأ وقوم خبر ومسحورون صفة • (ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين) الواو عاطفة واللام جواب القسم المحذوف وقد حرف تحقيق وجعلنا فعل وفاعل واذا كان بمعنى خلقنا كان قوله في السماء متعلقاً به واذا كان بمعنى صيرنا فيكون مفعوله الأول بروجاً والجار والمجرور في محل نصب هو المفعول الثاني وزيناها فعل وفاعل ومفعول به وللناظرين متعلقان بزيناها •(وحفظناها من كل شيطان رجيم) الواو عاطفة وحفظناها فعل وفاعل ومفعول به ومن كل شيطان رجيم جار ومجرور متعلقان بحفظناها ورجيم صفة لشيطان • (إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) إلا أداة استثناء ومن اسم موصول في موضع نصب على الاستثناء المتصل إن فسر الحفظ بمعنى المنع أي منع الشياطين من التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة،أو الاستثناء المنقطع إن فسر بالمنع من دخولها والتصرف فيها• والفاء عاطفة وأتبعه فعل ماض ومفعول به وشهاب فاعل ومبين صفة • (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي) والأرض نصب على الاشتغال أي مفعول به لفعل محذوف يفسره ما بعده ومددناها فعل وفاعل ومفعول به وألقينا فعل وفاعل وفيها متعلقان بألقينا ورواسي مفعول به أي جبالاً ثابتة لئلا تميد بأهلها • (وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) وأنبتنا عطف على ما قبله وفيها متعلقان بأنبتنا ومن كل شيء صفة للمفعول به المحذوف أي نباتاً من كل شيء ، وموزون صفة أي معلوم مقداره • (وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين) وجعلنا عطف على ما تقدم ولكم متعلقان بجعلنا أو في موضوع المفعول الثاني وفيها حال ومعايش مفعول جعلنا ومن الموصول عطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم

له برازقين أو وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والخدم والحشم والدواب وقدره الزجاج منصوباً بفعل محذوف مقدر تقديره وأغنينا من لستم له برازقين ويجوز قطع الواو فتكون ابتدائية ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره ومن لستم له برازقين جعلنا له فيها معايش .

البلاغة :

في قوله تعالى « كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ، لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ، ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » تشبيه تمثيلي للعناد المستحوذ عليهم واللدد الراسخ في صدورهم وتفصيل ذلك أن الله تعالى سلك القرآن في قلوبهم وأدخله في سويداءاتها كما سلك ذلك في قلوب المؤمنين المصدقين فكذب به هؤلاء وصدق به هؤلاء كل على علم وبينة ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولئلا يكون للكفار على الله حجة بأنهم ما فهموا وجوه الاعجاز كما فهمها من آمن فأعلمهم الله تعالى من الآن ، وهم في مهلة وإمكان : انهم ما كفروا إلا على علم معاندين باغين ليكون أدحض لأية حجة يختلقونها وأنفى لكل ادعاء يخرصون به ولذلك عقبه الله تعالى بقوله « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا » الخ أي إن هؤلاء فهموا القرآن حق الفهم واكتنهوا أسراره ، وسبروا أغوار معجزاته وعلموا وجوه إعجازه وولج ذلك الى قرارات نفوسهم ووقر في أسماعهم ولكنهم قوم ديدنهم العناد وشيمتهم اللجاج والمكابرة حتى لو سلك بهم أوضح السبل وأدعاها الى الايمان بضرورة العيان والمشاهدة وذلك

بأن يفتح لهم باباً في السماء يعرج ويعرج بهم حتى يدخلوا منه نهاراً وقد أشار الى ذلك بقوله ظلوا لأن الظلول إنما يكون نهاراً لقالوا بعد ذلك الايضاح العظيم المكشوف انما سكرت أبصارنا وسحرنا محمد وما هذه إلا خيالات مموهة لا حقائق تحتها فأسجل عليهم بذلك أنهم لا عذر لهم في التكذيب من عدم سماع ووعي ووصول الى القلوب وفهم كما فهم غيرهم من المصدقين لأن شأنهم الاستمرار في اللدد والعناد والمكابرة واللجاج فاذا انتقلنا الى التفصيل قلنا في هذا التشبيه التمثيلي:

١ ــ التتميم وقد مر سابقاً وذلك بعرض مختلف مجالي المشاهدة والاعتبار .

٢ ــ الاحتراس بكلمة ظلوا خشية أن يكون عروجهم في الظلام فيتعللوا به على عدم الاهتداء .

٣ ــ سكر الابصار على طريق الاستعارة المكنية التبعية .

٤ ــ وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بأن ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر حسب ادعائهم وايضاح ذلك انهم قالوا : « انما » وهي تفيد الحصر في المذكور آخراً فيكون الحصر في الأبصار لا في التسكير فكأنهم قالوا سكرت أبصارنا لا عقولنا ونحن وإن كنا نتخيل بأبصارنا هذه الأشياء لكنا نعلم بعقولنا أن الحال بخلافه أي لا حقيقة له ثم قالوا « بل » كأنهم أضربوا عن الحصر في الأبصار وقالوا بل جاوز ذلك الى عقولنا بسحر صنعه لنا .

وهذه الآيات من الروائع التي يقف البيان أمامها مذعناً .

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

اللغـــة :

(لواقح) : حوامل لأنها تحمــل السحاب وتثيره وفيهــا قولان أحدهما أنها جمع لاقح إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير ريح عقيم والثاني أنها بمعنى الملاحق وهي الاناث التي في بطونها أولادها ، قال :

ليبك يزيــد ضارع لخصومة ومختبط ممّا تطيح الطوائح

يريد المطاوح جمع مطيحة وفعله لقح يقال لقحت تلقح من باب تعب لقْحاً ولقَحاً ولقاحاً الناقة ونحوها قبلت اللقاح أو حملت فهي لاقح ولقوح ولقحت الحرب هاجت بعد سكون ولقحت المرأة حملت •

وفيما يلي أقوال كبار اللغويين :

قال أبو عبيدة : اللواقح : جمع ملقح لأنه من ألقح يلقح فهو ملقح فجمعه ملاقح فحذفت الميم تخفيفاً يقال ألقحت الريح السحاب كما يقال ألقح الفحل الأنثى •

وقال الأزهري : اللواقح : جمع لاقح يقال لقحت الريح إذا حملت الماء فهي حوامل لأنها تحمل السحاب كقولك ألقحت الناقة فلقحت إذا حملت الجنين في بطنها فشبهت الريح بها .

وقال الفراء : اللواقح : جمع لاقح على النسب كلا بن وتامر أي ذات لقاح .

وفي المختار : « ألقح الفحل الناقة ولريح السحاب ، ورياح لواقح ولا تقل ملاقح » .

الاعراب :

(وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) إن نافية ومن شيء من زائدة في المبتدأ وإلا أداة حصر وعندنا الظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وخزائنه مبتدأ مؤخر والجملة خبر شيء . (وما ننزله إلا بقدر معلوم) الواو عاطفة وما نافية وننزله فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وإلا أداة حصر وبقدر حال من المفعول أي ملتبساً بقدر ولك أن تعلقه بننزله ومعلوم صفة لقدر . (وأرسلنا الرياح لواقح) وأرسلنا الرياح فعل وفاعل ومفعول به ولواقح حال مقدرة من الرياح . (فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) فأنزلنا الفاء عاطفة وأنزلنا عطف على أرسلنا ومن السماء جار ومجرور متعلقان بأنزلنا وماء مفعول به فأسقيناكموه الفاء عاطفة وأسقى فعل ماض ونا فاعل والكاف مفعول به أول والميم علامة جمع الذكور والواو لاشباع ضمة الميم والهاء مفعول به ثان وما الواو للحال وما نافية حجازية وأنتم اسمها وله متعلقان بخازنين والباء حرف جر زائد وخازنين خبر ما محلاً مجرور

بالباء لفظاً • (وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون) الواو عاطفة وإن واسمها واللام المزحلقة ونحن مبتدأ وجملة نحيي خبره ويجوز أن تكون نحن تأكيداً لنا ولا يجوز أن تكون فصلاً لأنها لم تقع بين اسمين ونحن مبتدأ والوارثون خبر • (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وعلمنا فعل وفاعل والمستقدمين مفعول به ومنكم حال ولقد علمنا المستأخرين عطف • (وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم) وان ربك ان واسمها وهو مبتدأ وجملة يحشرهم خبر والجملة الاسمية خبر ان وان واسمها وحكيم خبر أول وعليم خبر ثان •

البلاغـة :

١ ــ الاستعارة التمثيلية في قوله «وإن من شيء إلا عندنا خزائنه» فقد شبه ما ينتفع به العباد جميعاً لا المطر وحده كما قال بعضهم بالخزائن التي تودع فيها المكنونات والمخبآت لاخراج كل شيء بحسب ما اقتضته الحكمة الإلهية ومصالح العباد الحيوية •

٢ ــ الاستعارة المكنية في تشبيه الرياح باللواقح وهي النوق لتوليد المطر مما أفاض الحديث في بسطه ولايتنافى مع هذه الاستعارة •

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ

مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

اللغــــة :

(الصلصال) : الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ وإذا طبخ فهو فخار، قالـوا : إذا توهمت في صوته مـدّاً فهو صليل وإن توهمت فيـه ترجيعاً فهو صلصلة وقيـل هو تضعيف صل إذا أنتن ، وقيل : الصلصال : طين يابس إذا نقر سمع له صوت أي صلصلة وهو

بمعنى المصلصل كالزلزال بمعنى المزلزل ويكون فعلال أيضاً مصدراً نحو الزلزال وفي وزن هذا النوع أي ما كررت فاؤه وعينه خلاف، فقيل وزنه فعفع كررت الفاء والعين ولا لام للكلمة وهو قول الفراء وهو غلط لأن أقل الأصول ثلاثة فاء وعين ولام وقد عدل عنه الفراء فقال إن وزنه فعفل وقيل إن أصله فعّل بتشديد العين وأصله صلّل فلما اجتمع ثلاثة أمثال أبدل الثاني من جنس فاء الكلمة ، وخص بعضهم هذا الخلاف بما إذا لم يختلّ المعنى بسقوط الثالث نحو لملم وكبكب فإنك تقول فيهما لمّ وكبّ فلو لم يصح المعنى بسقوطه نحو سمسم فلا خلاف في أصالة الجميع.وقيل : ان وزنه فعلل بتكرير اللام فقلبت الأولى منهما من جنس فاء الكلمة ، وفي القاموس : الصلصال الطين اليابس الذي يصل من نفسه أي يصوت ويقال صلصل صلصلة الحلي أو اللجام صوت ، والرعد صفا صوته والجرس رجع صوته وصلصل فلاناً تهدده . هذا وقد جاءت الزيادة رابعة بعد اللام الأولى في أسماء صالحة العدة تقارب عشرة أبنية من ذلك :

فعليل وذلك في الاسم والصفة فالاسم قنديل وبرطيل والصفة شنظير وهمهيم فالقنديل معروف والبرطيل حجر طويل قدر الذراع والشنظير السيىء الخلق والهمهيم الذي يردّد ويهمهم ويقال حمار همهيم أي في صوته ترديد من الهمهمة .

ومن ذلك فُعلول في الاسم والصفة فالاسم عُصفور وزُنبور والصفة سرحوب وقرضوب فالعصفور والزنبور معروفان والسرحوب الطويل والقرضوب الفقير وهو من أسماء السيف وربما قيل للص قرضوب .

ومن ذلك فعليل بضم الفاء وسكون العين وفتح اللام الأولى قالوا في الصفة : غرنيق وهو الرفيع السيد والغرنيق من طيور الماء طويل

العنق قال الجوهري إذا وصف به الرجال قيل : غرنيق بكسر الغين وغرنيق بالضم والجمع غرانق بالفتح وغرانيق •

ومن ذلك فِعلول جاء في الاسم والصفة والاسم فردوس وحرذون والصفة علطوس فالفردوس هو البستان والحرذون دويبة كالقطاة والعلطوس الناقة الفارهة •

ومن ذلك فَعَلول في الاسم والصفة فالاسم قَرَبوس وزَرَجون والصفة قرقوس وحلكوك فالقربوس للسرج معروف والزرجون الخمر سميت بذلك للونها وأصلها بالفارسية زركون (الزر الذهب والكون اللون) وقال أبو عمرو الجرمي : هو صبغ أحمر •

ومن ذلك فعلول بفتح الفاء والعين وسكون اللام وفتح اللام قالوا كنهور وبلهور ، والكنهور : السحاب العظيم والبلهور من ملوك الهند يقال لكل ملك عظيم منهم بلهور ولا نعلمه اسماً •

ومن ذلك فَعْلال ولا يكون إلا في الكلام المضاعف من ذوات الأربعة يكون اسماً وصفة فالاسم الزلزال والحثحاث والصفة الصلصال والقسقاس فالزلزال مصدر كالزلزلة والحثحاث بمعنى الحثحثة والصلصال الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جف فإن طبخ فهو الفخار والقسقاس الدليل الهادي وقد جاء حرف واحد على فعلال غير مضاعف قالوا ناقة بها خزعال وهو سوء مشي من داء •

ومن ذلك فعلال بكسر الفاء يكون اسماً وصفة فالاسم نحو سربال وحملاق والصفة سرداح وهلباج ، والسربال القميص والحملاق ما تغطيه الأجفان من العين والسرداح الأرض الواسعة والهلباج الكثير العيوب •

ومن ذلك فَعَلَّل بفتح الفاء والعين وتضعيف اللام الأولى يكون اسماً وصفة فالاسم شفلح وهسرّجة والصفة العدبّس والعملّس فالشفلح ثمر معين وقد يكون صفة بمعنى الغليظ الشفة والهمرّجة الاختلاط يقال همرجت عليه الخبر أي خلطته والعدبس الضخم والعملس الخفيف وقيل للذئب عملّس ، قال الشنفرى :

ولي دونكم أهلون سِيدٌ عملّس
وأرقطُ زُهْلول وعَرْفاء جَيْأل

ومن ذلك فُعُلّل بضم الفاء والعين وهو قليل قالوا الصفرق والزمرذ وهما اسمان فالصفرّق نبت والزمرذ من الجوهر معروف •

(حمأ) : الحمأ : الطين الأسود المتغيّر الرائحة من طول مكثه ويقال الحمأة •

(مسنون) : منتن من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به فإن ما يسيل بينهما يكون منتناً ويسمى سنيناً وقيل المصبوب المفرغ أي أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في أمثلتها وقد امتاز فعل سنّ بكثرة معانيه حتى ليكاد المرء يذهل يقال سن يسن السكين من باب نصر أحدّه وشحذه ويقال هذا مما يسنك على الطعام أي يشحذك على أكله ويشهيه إليك وسن الرمح ركب فيه السنان وسن الأسنان سوكها وسن العقدة حلها وسن الإبل ساقها سوقاً سريعاً وسن الرجل طعنه بالسنان وعضه بأسنانه وكسر أسنانه ومدحه وأطراه وسن الأمر بينه وسهله وأجراه وسن الطريقة سار فيها وسن عليهم السنة وضعها وسن الطين عمله فخاراً وسن الشيء صوّره وسن الماء أو التراب

صبه برفق وسنت العين الدمع صبته وسن الأمير رعيته أحسن سياستها يقال سن فلان طريقاً من الخير أي ابتدأ أمراً من البر لم يعرفه قومه وهذا من أعاجيب لغتنا الشريفة .

(الجان) : للجن كآدم للناس .

(السموم) : نار الحر الشديد النافذ من المسام وقيل هي نار لادخان لها تنفذ في المسام وقيل السموم : مايقتل من افراط الحر من شمس أو ريح أو نار لأنها تدخل في المسام وهي الثقوب فتقتل وتجمع على سمائم .

(رجيم) مطرود وفي المصباح : الرجم بفتحتين الحجارة والرجم القبر سمي بذلك لما يجتمع عليه من الحجارة ورجمته رجماً من باب قتل ضربته بالرجم ، وفي القاموس : « الرجم : اللعن والشتم والطرد والهجران » والمرجوم المطرود الملعون ولعنه الله طرده وأبعده قال الشماخ :

وماء قد وردت لوصل أروى ... عليه الطير كالورق اللجين

ذعرت به القطا ونفيت عنه ... مقام الذئب كالرجل اللعين

الاعراب :

(ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) الواو استئنافية واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وخلقنا الانسان فعل وفاعل ومفعول به ومن صلصال جار ومجرور متعلقان بخلقنا ومن حمأ يجوز أن يكون صفة لصلصال وأن يكون

بدلاً من قولــه من صلصال باعادة الجــار ومسنون صفــة لحمأ • (والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم) والجان نصب على الاشتغال وخلقناه فعل وفاعل ومفعول به ومن قبل متعلقان بمحذوف حال ومن نار السموم متعلقان بخلقناه • (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون) الظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر وجملة قال ربك مضافة للظرف وللملائكــة متعلقان بقال وإن واسمها وخالق خبرها وبشراً مفعول به لخالق ومن صلصال من حمأ مسنون تقدم اعرابها • (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) الفاء عاطفــة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجمــلة سويته مضافة للظرف ونفخت عطف عــلى سويته وفيه متعلقان بنفخت ومن روحي صفة لمفعول محذوف أي روحاً من روحي والمراد الأحياء وليس ثمة نفخ ولا منفوخ فقعوا الفاء رابطة لجواب اذا وقعوا فعل أمر والواو فاعل وله متعلقان بساجدين وساجدين حــال (فسجد الملائكة كلهــم أجمعون) الفاء عاطفة على محذوف أي فخلقه وسواه ونفخ فيه من روحه فسجد الملائكة وكلهم وأجمعون تأكيدان لزيادة تمكين المعنى وترسيخه في الذهن ، وسئل المبرد عن هذه الآية فقال : لو قال فسجد الملائكة احتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر أنهم بأسرهم سجدوا ثم عند هــذا بقي احتمال وهو أنهم هل سجدوا دفعة واحدة أو سجد كل واحد في وقت فلما قال أجمعون ظهر أنهم جميعاً سجدوا دفعة واحدة • (إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين) تقدم القول في هذا الاستثناء أنه متصل إما لأنه كان جنياً مغموراً بألوف الملائكة فعدّ منهم تغليباً واما لأنه منهم حقيقة ويجوز أن يكون منقطعاً فيتصل به ما بعده أي لكن ابليس أبى أن يكون معهم ، وأبى فعل ماض وأن يكون مصــدر مؤول منصوب عــلى المفعولية لأبى واسم يكون

مستتر تقديره هو أي ابليس ومـع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر يكون والساجدين مضاف اليه • (قال : يا إبليس مالك أن لا تكون مع الساجدين) يا حرف نداء وابليس منادى مفرد علم وما اسم استفهام للتوبيخ مبتدأ ولك خبر وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض والجار والمجرور في محل نصب على الحال أي مالك غير كائن مع الساجدين ، وأن لا تكون مع الساجدين تقدم اعرابها • (قال : لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) لم حرف نفي وقلب وجزم وأكن مضارع مجزوم بلم واسمها مستتر تقديره أنا واللام لام الجحود وهي لتأكيد النفي وأسجد فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعدها والجار والمجرور خبر أكن ولبشر متعلقان بأسجد وجملة خلقته صفة لبشر ومن صلصال من حمأ مسنون تقدم إعرابها • (قال فاخرج منها فإنك رجيـم) الفاء الفصيحة لأنها جواب شرط مقدر أي إن تماديت وعصيت فاخرج ومنها متعلقان باخرج والفاء تعليلية وان واسمها وخبرها والجملة لا محل لها • (وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) الواو عاطفة وان حرف مشبه بالفعل للتوكيد وعليك خبر ان المقدم واللعنة اسمها المؤخر والى يوم الدين حال أي مستقرة الى تلك الغاية • (قـال رب فأنظرني الى يوم يبعثون) رب منادى محذوف منه حرف النداء وهو مضاف الى ياء المتكلم والفاء الفصيحة لأنها وقعت في جواب شرط مقدر أي إن قضيت علي بهذا الجزاء فأنظرني أي أمهلني ، والى يوم متعلقان بأنظرني ويبعثون مضارع مبني للمجهـول والواو نائب فاعـل وجملة يبعثون مضاف اليها وانما طلب الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون ليجد مندوحة وفسحة في الإغواء ونجـاة عند الموت إذ لا موت بعـد وقت البعث فأجابه الى الاول دون الثاني أي انظر الى آخر أيام التكليف كما

سيأتي • (قال فإنك من المنظرين) الفاء عاطفة وإن واسمها ومن المنظرين خبرها • (إلى يوم الوقت المعلوم) الى يوم جـــار ومجرور متعلقان بالمنظرين والوقت مضاف اليه والمعلوم صفـــة • (قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين) رب منادى كما تقدم وبما الباء للقسم وما مصدرية أي أقسم باغوائك إياي وجملة لأزينن جواب القسم وقد تقدم نظيره في الأعراف وقيل الباء للسببية وكلاهما جائز ، لأزينن اللام جواب القسم أو هي موطئة للقسم إن كانت الباء سببية وأزينن فعل مضارع مبني على الفتح ولهم متعلقان بأزينن وفي الأرض حال ولأغوينهم عطف على لأزينن وأجمعين تأكيد للضمير • (إلا عبادك منهم المخلصين) إلا أداة استثناء وعبادك مستثنى والمخلصين صفـة ومنهم حال •(قال هذا صراط علي مستقيم) هذا مبتدأ وصراط خبروعلي متعلقان بمحذوف صفة أي حق ومستقيم صفة ثانية أي هـــذا طريق حق علي أن أراعيه ولاأتجاوزهوهو : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) فالجملة تفسيرية للصراط المستقيم الذي أوجبت على نفسي التزامه وان واسمها وجملة ليس خبر ولك خبر ليس المقدموعليهم حال لأنه كان صفة لسلطان وسلطان اسم ليس المؤخر •

قال ابن هشام : « قول كثير من النحويين في قوله تعالى : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك » إنه دليل عـــلى جواز استثناء الأكثر من الأقل والصواب ان المراد بالعباد المخلصون لاعموم المملوكين وان الاستثناء منقطع بدليـــل سقوطه في الآية ٦٥ ســـورة الاسراء « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيـــلا » وتعقبه الدماميني بقوله : « اختياره لكون الاستثناء منقطعاً مقـــدوح

فيه بأنه ارتكاب لخلاف الأصل من غير ضرورة لإمكان حمل الاستثناء على الاتصال وهو الأصل ويكون المراد بالعباد عموم المملوكين ولا يضر في ذلك أن آية الاسراء بدون استثناء لأنه أريد بالعباد فيها المخلصون فترك الاستثناء وقد يجاب بأنه القرآن يفسر بعضه بعضاً فإذا تكرر لفظ فيه وكان له موضع محمل واحد وفي آخر ذلك المحمل وغيره حمل في الآخر على ذلك المحمل دون غيره والاستثناء المنقطع وإن كان خلاف الأصل إلا أنه فصيح شائع •

(إلا من اتبعك من الغاوين) قيل هو استثناء من غير الجنس لأن المراد بعبادي الموحدون ومتبع الشيطان غير موحد وقيل هو من الجنس لأن عبادي جميع المكلفين ومن الغاوين حال • (وان جهنم لموعدهم أجمعين) الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وموعدهم خبر إن وأجمعين تأكيد للضمير • (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) لها خبر مقدم وسبعة أبواب مبتدأ مؤخر ولكل باب خبر مقدم ومنهم حال لأنه كان صفة لجزء وجزء مبتدأ مؤخر ومقسوم نعت لجزء أيضاً والمراد بالجزء الطائفة •

البلاغة :

١ ـ الايجاز في قوله « قال هذا صراط علي مستقيم » ولعله من أبلغ الايجازات لأنه قسيم الايجاز بالحذف فهو ايجاز بالتقدير وهو قسمان : أحدهما ما ساوى لفظه معناه ، وثانيهما ما زاد معناه على لفظه ويسمى بالقصر إذ يدل لفظه على محتملات عديدة ومشتملات كثيرة ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها لا بل يستحيل ذلك

فقوله « هذا » اشارة تدل على القرب فكأنه يشير إلى ما هو على مرأى من عيونهم ، ومسمع من آذانهم ، وبين متناول أيديهم ، وصراط تدل على الطريق المسلوكة التي تفضي بسالكها إلى حيث يختار لنفسه من مذاهب ولكن الطريق قد تكون معوجة ملتوية كثيرة المنعطفات فيتيه السالك في متاهاتها وتلتبس عليه أوجه الاستهداء في سلوكها فجاء بكلمة « مستقيم »والمستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين وأقل انحراف يخرجه عن سنن الاستقامة وحدودها وكلمة «علي» تعني الالزام والايجاب تقول علي عهد الله لأفعلن كذلك فتشعر أنك قد ألزمت نفسك بما هو حتى مفروض الأداء ثم ان الاشارة تضمنت كل ما يحتويه الاستثناء فيما بعد وهو قوله « الا عبادك منهم المخلصين » فكأنه أخذ على نفسه وأوجب على ذاته حقاً لا انفكاك له عنه وهو تخليص المخلصين من إغوائه ، وقد تضمن تعريف المخلصين أيضاً ما يؤكد هـذا المعنى ويجعله مستقراً في الذهن لأن التعريف فيه مع تحقيق الصفة للموصوف وهي الإخلاص تفخيم لشأنهم وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهـم ، وفل معاول النقد ان تتوجه اليهم ، فهذه الآية كلمات قليلة وقد احتوت على هذه الأغراض ولا بد لنا من أن نعرض نماذج من غير القرآن لا لأنها ترقى الى مستواه ولكن لأنها تدور في فلكه وتحوم حوله وتستقي من مناهله استمع الى هذه القصة العجيبة :

لما أرسل المهلب بن أبي صفرة أبا الحسن المدائني الى الحجاج ابن يوسف يخبره أخبار الأزارقة كلمه كلاماً موجزاً كالذي نحن بصدده هنا وذلك ان الحجاج سأله فقـال كيف تركت المهلب ؟ فقـال أدرك ما أمّل وأمن مما خاف فقال : كيف هو لجنده ؟ قال : والد" رءوف ، قال : كيف جنده له ؟ قال : أولاد بررة ، قـال : كيف رضاهم عنه ؟

قال : وسعهم بفضله ، وأغناهم بعدله ، قال : كيف تصنعون إذا لقيتم العدو ؟ قال : نلقاهم بجدنا ويلقوننا بجدهم ، قال : كذلك الجد إذا لقي الجد ، قال فأخبرني عن بني المهلب قال : هم أحلاس القتال بالليل ، حماة السرج بالنهار قال : أيهم أفضل ؟ قال : هم كحلقة مضروبة لا أيعرف طرفاها فقال الحجاج لجلسائه : هذا هو والله الكلام الفضل الذي ليس بمصنوع • وتأمل وصف الحجاج للكلام فقد وصف الكلام الموجز البليغ بما يدانيه في الايجاز والبلاغة ولا غرو فالحجاج كان آية في اتقان اللغة ومعرفة خصائصها ، روى الزجاج في أماليه قال: « أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم السجستاني عن الأصمعي قال : أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وابن القرّية ، والحجاج أفصحهم ، قال يوماً لطباخه : اطبخ لنا مخلّلة وأكثر عليها الفيجن (أي السذاب وهو نبات ورقه كالصعتر) واعمل لنا مزعزعاً فلم يفهم عنه الطباخ فسأل بعض ندمائه فقال له : اطبخ له سكباجاً وأكثر عليها من السذاب واعمل له فالوذاً سلساً • وسترى نماذج من الايجاز في أماكن كثيرة يتم بها شرط الكتاب •

٢ ــ الاستثناء في قوله تعالى : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس » فإن هذا الاستثناء لو لم يتقدم لفظه هذا الاحتراس من قوله كلهم أجمعون لاحتمل ــ كما أشرنا في الاعراب ــ أن يكون في الملائكة من لم يسجد فيتأسى به إبليس ولا يكون منفرداً بهذه الكبيرة لاحتمال أن تكون آلة التعريف للعهد لا للجنس فلما كان هذا الاشكال يتوجه على الكلام إذا اقتصر فيه على ما دون التوكيد وجب الاتيان بالتوكيد ليعلم أن آلة التعريف للجنس فيرتفع هذا الإشكال بهذا

الاحتراس فحينئذ تعظم كبيرة ابليس لكونه فارق جميع الملأ الأعلى ، وخرق إجماع الملائكة فيستحق أن يفرد بهذا اللعن إلى آخر الأبد ، هذا والاستثناء الذي يطلقه البلاغيون هو غير الاستثناء المعروف عند النحاة فهو قسمان إذن لغوي وصناعي أما اللغوي فقد فرغ النحاة من تقريره وأما الصناعي فهو الذي نحن بصدده وهو المتعلق بعلم البيان وسترد له نماذج رائعة في هذا الكتاب العجيب •

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

اللغـــة :

(غل) : الغل بكسر الغين الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل ويطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وتقول : جعل الله في كبده غُلة وفي صدره غلاً وفي ماله غُلولاً وفي رقبته غُلاً فالغل بالضم القيد وهي مادة تدل على التغلغل مطابقة للفظها يقال وبي وجد" تغلغل في الحشا وأبلغ فلاناً مغلغلة وهي الرسالة الواردة من بلد بعيد وغلغلت اليه رسالة قال الأخطل :

لأغلغلن إلى كريم مدحـــة ولأثنين" بنائـل وفعـــال

الاعراب :

(إن المتقين في جنات وعيون) إن واسمها وفي جنات خبرها وعيون عطف على جنات . (ادخلوها بسلام آمنين) الجملة مقول قول محذوف أي يقال لهم وادخلوها فعل أمر وفاعل ومفعول به وبسلام في محل نصب على الحال من الواو في ادخلوها أي سالمين من كل أذى أو مسلّماً عليكم وآمنين حال ثانية من الواو في ادخلوها . (ونزعنا مافي صدورهم من غلٍ اخواناً على سرر متقابلين) ونزعنا فعل وفاعل وما مفعول به وفي صدورهم صلة ومن غل حال بيان للذي استقر في صدورهم وإخواناً حال ثانية من هم وعلى سرر جار ومجرور متعلقان بمتقابلين ومتقابلين حال ثالثة من ضمير صدورهم وجاز ذلك لأن المضاف جزء من المضاف اليه والعامل فيها معنى الالصاق وقيل متقابلين صفة لإخواناً وليس ببعيد والأول أولى أي لاينظر بعضهم قفا بعض لدوران الأسرة بهم وهي صفة الجالسين على موائد الشراب والولائم لأن ذلك أبلغ في المؤانسة والاكرام . (لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) يجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة أو حالاً من الضمير في متقابلين ولا نافية ويمسهم فعل مضارع ومفعول به مقدم ونصب فاعل مؤخر وما هم الواو عاطفة وما نافية حجازية وهم اسمها ومنها متعلقان بمخرجين والباء حرف جر زائد ومخرجين مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه خبر ما . (نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم) نبىء فعل أمر والفاعل مستتر وعبادي مفعول به وأن وما في حيزها سدت مسد مفاعيل نبىء وأن واسمها وأنا ضمير فصل أو مبتدأ والغفور خبر أن أو خبر أنا والجملة خبر أن والرحيم خبر ثان . (وأن عذابي هو العذاب الأليم) عطف على سابقتها والاعراب واحد ولكن الأليم صفة للعذاب .

الفوائـد :

قوله « نبىء عبادي اني أنا الغفور الرحيم » هذا مما ورد منظوماً في القرآن ولكنه ليس شعراً لأنه ليس مقصوداً وقد تقدم القول في بعض الآيات التي وردت موزونة وهـذه الآية تؤلف بيتاً كاملاً من البحر المجتث ولكننا لم نذكر هنـاك معاني أسماء الأبحر وفيما يلي بيـان الاسماء ومعانيها :

ذكر الزجاج أن ابن دريد أخبره عن أبي حاتم عن الاخفش قال : سألت الخليل : لم سميت الطويل طويلاً ؟ قال لأنه طال بتمام أجزائه قلت : فالبسيط ؟ قـال : لأنه انبسط عن مدى الطويـل وجاء وسطه فَعِلن وآخره فَعِلن ، قلت : فالمديد ؟ قـال : لتمـدد سباعيه حول خماسيه قلت : فالوافر ؟ قال : لوفور أجزائه وتداً بوتد قلت : فالكامل؟ قال : لأن فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر قلت : فالهزج ؟ قال : لأنه يضطرب شبه بهزج الصوت قلت : فالرجز ؟ قال : لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام قلت : فالرمـل ؟ قال : لأنه برمل الحصير لضم بعضه الى بعض قلت : فالسريع ؟ قال : لأنه يسرع عـلى اللسان ، قلت : فالمنسرح ؟ قال : لانسراحه وسهولته ، قلت : فالخفيف؟ قال : لأنه أخف السباعيات قلت : فالمقتضب ؟ قال : لأنه اقتضب من السـريع ، قلت : فالمضارع ؟ قـال : لأنه ضارع المقتضب ، قلت : فالمجتث ؟ قـال : لأنه اجتث أي قطـع من طويل دائرته ، قلت : فالمتقارب ؟ قال : لتقارب أجزائه لأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً .

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

الاعراب :

(ونبئهم عن ضيف ابراهيم) عطف على نبىء عبادي ليعتبروا بما حل بقوم لوط من عذاب ونبئهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وعن ضيف ابراهيم متعلقان بنبئهم وأصل الضيف مصدر ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع على أنه قد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان. (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون) الظرف متعلق

بمحذوف تقديره اذكر وجملة دخلوا مضاف اليها وعليه متعلقان بدخلوا فقالوا عطف على دخلوا وسلاماً مفعول مطلق لفعل محذوف أي نسلم سلاماً أو مفعول به على المعنى أي اذكروا سلاماً وقال فعل ماض وجملة إناالخ مقول القول وإن واسمها ومنكم متعلقان بوجلون ووجلون خبر إنا أي خائفون إما لامتناعهم من الأكل واما لأنهم دخلوا بغير إذن • (قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم) لا ناهية وتوجل مضارع مجزوم بلا الناهية وان واسمها وجملة نبشرك خبرها وبغلام متعلقان بنبشرك وعليم صفة والجملة تعليلية لعدم الوجل • (قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون) الهمزة للاستفهام التعجبي وبشرتموني فعل وفاعل ومفعول به وعلى حرف جر وان وما في حيزها في محل جر بعلى والجار والمجرور في موضع نصب على الحال أي حالة كونه قد مسني والكبر فاعل مسني ، فبم الباء حرف جر وما اسم استفهام حذفت ألفها لدخول حرف الجر والجار والمجرور متعلقان بتبشرون • (قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين) جملة بشرناك مقول القول وهو فعل ماض وفاعل ومفعول به وبالحق متعلقان ببشرناك والفاء حرف عطف ولا ناهية وتكن مضارع مجزوم بلا الناهية واسم تكن مستتر تقديره أنت ومن القانطين خبرها • (قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) الواو عاطفة ومن اسم استفهام معناه النفي في محل رفع مبتدأ وجملة يقنط خبره ومن رحمة ربه متعلقان بيقنط وإلا أداة حصر والضالون بدل من الضمير المستتر في يقنط بدل بعض من كل ولم يؤت معه بضمير لقوة تعلق المستثنى بالمستثنى منه • (قال فما خطبكم أيها المرسلون) الفاء عاطفة لتتساوق المحاورة وما اسم استفهام مبتدأ وخطبكم خبر أي ما شأنكم وأيها منادى نكرة مقصودة وحرف النداء محذوف والهاء للتنبيه والمرسلون بدل أو نعت لأيها • (قالوا

إنا أرسلنا الى قوم مجرمين) إن واسمها وجملة أرسلنا خبرها ونا نائب فاعل أرسل والى قوم متعلقان بأرسلنا ومجرمين صفة • (إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين) فيه وجهان أحدهما أنه مستثنى متصل على أنه مستثنى من الضمير المستكن في مجرمين والمعنى أنهم أجرموا كلهم إلا آل لوط فانهم لم يجرموا وجملة إنا لمنجوهم على هذا استئنافية مسوقة للإخبار بنجاتهم لأنهم لم يجرموا وثانيهما انه مستثنى منقطع لأن آل لوط لم يندرجوا في المجرمين البتة وعلى كل حال محله النصب ويبدو أن جعله منقطعاً أولى وأمكن وذلك ان في استثنائهم من الضمير العائد على قوم مجرمين بعداً من حيث ان موقع الاستثناء اخراج ما لولاه لدخل المستثنى في حكم الأول وهذا الدخول متعذر من التنكير ولذلك قلما تجد النكرة يستثنى منها إلا في سياق نفي لأنها حينئذ أعم فيتحقق الدخول لولا الاستثناء ومن ثم لم يحسن : رأيت قوماً إلا زيداً ، وحسن : ما رأيت أحداً إلا زيداً • وإن واسمها واللام المزحلقة ومنجوهم خبر إنا وأجمعين تأكيد للضمير ، وعلى هذا تكون جملة إنا لمنجوهم متصلة بآل لوط كأنها خبر لكن المقدرة أي لكن آل لوط منجون • (إلا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) اختلف المعربون في هذا الاستثناء وسننقل ما قاله الزمخشري وأبو البقاء ، قال الزمخشري : « فإن قلت فقوله إلا امرأته ممّ استثني وهل هو استثناء من استثناء ؟ قلت استثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال : أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلّق أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين إلا واحدة وفي قول المقرّ : لفلان عليّ عشرة دراهم إلا ثلاثة إلا درهماً فأما في الآية فقد

اختلف الحكمان لأن إلا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين وإلا امرأته قد تعلق بمنجوهم فأنى يكون استثناء من استثناء ؟ » .

وقال أبو البقاء : قوله تعالى : إلا امرأته فيه وجهان أحدهما هو مستثنى من آل لوط والاستثناء اذا جاء بعد الاستثناء كان الاستثناء الثاني مضافاً الى المبتدأ كقولك له عندي عشرة إلا أربعة إلادرهماً فإن الدرهم يستثنى من الأربعة فهو مضاف الى العشرة فكأنك قلت أحد عشر إلا أربعة أو عشرة إلا ثلاثة والوجه الثاني أن يكون مستثنى من ضمير المفعول في منجوهم وسيأتي في باب الفوائد مزيد .

وقدرنا فعل وفاعل وقد ضمن معنى العلم فلذلك علق باللام فكسرت إن وإنما أسند الملائكة التقدير لأنفسهم لما لهم من المكانة والقربى من الله كما تقول خاصة الملك نحن أمرنا ونحن رسمنا وان كانوا قد أمروا به ورسموه بأمر الملك ، وان واسمها واللام المزحلقة ومن الغابرين خبر ان . (فلما جاء آل لوط المرسلون) الفاء عاطفة على محذوف أي فخرجوا من عنده وسافروا مع قريته الى قرية قوم لوط ولما حينية أو رابطة وجاء فعل ماض وآل لوط مفعول به مقدم والمرسلون فاعل مؤخر . (قال انكم قوم منكرون) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وان واسمها وخبرها ومنكرون صفة لقوم . (قالوا : بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) بل حرف اضراب وعطف وجئناك فعل وفاعل ومفعول به وبما متعلقان بجئناك وجملة كانوا صلة وفيه متعلقان بيمترون وجملة يمترون خبر كانوا . (وأتيناك بالحق وإنا لصادقون) الواو عاطفة وأتيناك فعل وفاعل ومفعول به وبالحق متعلقان بمحذوف حال أي ملتبسين أو ملتبساً أنت لابصارك له ويجوز تعليقه بآتيناك وان واسمها واللام المزحلقة وصادقون خبر إن .

الفوائـد :

وقفنا على مناظرة جرت بين الكسائي وأبي يوسف بصدد قولـه تعالى « إلا امرأته » وحكـم « إلا » إذا تكررت فقـد سأل الكسائي أبا يوسف عمن قال : له عليّ مائة درهم إلا عشرة إلا اثنين فقـال : يلزمه ثمانية وثمانون فقال الكسائي بل يلزمه اثنان وتسعون واستدل بالآية فلم يخالفه وهذا يؤيد رأي أبي البقاء ويخطىء قول الزمخشري وقال ابن هشام : ونظيره قوله تعالى « إنا أرسلنا الى قوم مجرمين إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته » فالمـرأة مستثناة من الأول والآل مستثنون من القوم المجرمين وهو منقطع والثاني متصل كذا ظهر لي وبعد فلا يمتنع عندي في مثـل عشرة إلا أربعـة الا اثنين أن يستثنى الاثنان من الأصل لأن الحمل على الأقرب أرجح لا متعين وكفى بباب التنازع شاهداً وإن كلاً من الفريقين يجيز أعمال كل من العاملين إلا ما اسُتثني لعارض والعارض يوجد هنا أيضاً نحو عشـرة إلا ثلاثة إلا أربعة فإن قلت : ما المانع من أن يكون في الآيـة الاستثناء الثاني من القوم المجرمـين ويرجحه الاتصال على هـذا أيضاً لأنها من الآل ومن المجرمين قلت : متى قيل هذا فقد أبعد القائل وأحال أما الأول فواضح وأما الثاني فلأن معنى أرسلنا أرسلنا بالعذاب فـلا يصح إخراجها من المعـذبين فان قلت : فما المانـع من أن يستثنى من هم في إنا لمنجوهم وحينئذ تكون معذبة ويكون حملاً على أقرب ما ذكرت وتخرج الآية عن الاستثناء من الاستثناء قلـت هو قول الزمخشري وليس عنـدي كغالب أقواله الاعرابية لأن « إنا لمنجوهم أجمعين » إنما ذكرت توكيداً لا تأسيساً لاستفادة معناها من الاخراج من حكم المعذبين .

وبعد نقل ما تقدم عثرت على اعتراض جميل وهو أنه تقـدم أن المراد بالاجرام ذلك الفعل الشنيع فكيف يقولون إن المرأة من الآل ومن المجرمين وذلك الفعل لا يتصور منها وعلى هذا يطيح الرأيان جميعاً ويمكن أن يجاب بأن الدلالة على الشيء كفعله أو السكوت على الاجرام والرضا به إجرام وانما أطلنا الكلام لأن هذه الآية مما كثر فيه الكلام وقل من أصاب الغرض من الأئمة الاعلام وسئل عنها الجلال السيوطي في الفتاوى فما أتى بالمرام والله أعلم .

وقد اضطرب أبو حيان في كلامه على الرأيين والموازنة بينهما فقال:

« ولما استسلف الزمخشري أن إلا امرأته مستثنى من الضمير المجرور في لمنجوهم لم يجوز أن يكون استثناء من استثناء ومن قال انه استثناء من استثناء فيمكن تصحيح كلامه بأحد وجهـين أحدهما انه لما كان الضمير في لمنجوهم عائداً على آل لوط وقد استثنى منه المرأة صار كأنّه مستثنى من آل لوط لأن المضمر هو الظاهر في المعنى والوجه الآخر أن قوله إلا آل لوط لمّا حكم عليهم بغير الحكم على قوم مجرمين اقتضى ذلك نجاتهم فجاء قوله إنا لمنجوهم أجمعين تأكيداً لمعنى الاستثناء إذ المعنى إلا آل لوط فلم يرسل اليهم بالعذاب فصار نظير قولك قام القوم إلا زيداً فانه لم يقـم أو إلا زيداً لـم يقـم فهـذه الجملة تأكيـد لما تضمنه الاستثناء من الحكـم عـلى ما بعـد إلا بضـد الحكـم السابق على المستثنى منه فإلا امرأته عـلى هذا التقرير الـذي قررناه استثناء من آل لوط لأن الاستثناء مما جيء به للتأسيس أولى مما جيء به للتأكيد » .

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

اللغـــة :

(فأسر) : بقطع الهمزة من أسرى وقرىء بوصلها من سرى يقال سرى بالليل وأسرى وسريت به وأسريت به وطال بهم السُّرى وطالت يكون مصدراً كالهدى وجمع سُرية يقال : سرينا سُرية من الليـــل وسَرية كالغُرفة والغَرفة وأنشد أبو زيد :

وأرفــع صدر العنس وهي شـِملّةٌ

إذا مــا الســرى مالت بلــوث العمائــم

(يعمهون) يتحيرون وقد تقدم ذكره .

(سجيل) طين طبخ بالنار .

(للمتوسمين) للمتفرسين والمعتبرين المتأملين والتوسم تفعل من الوسم والتوسم أصله التثبت والتفكر مأخوذ من الوسم وهو التأثير بحديدة في جلد البقر أو غيره ، وقال ثعلب : الواسم الناظر اليك من فرقك الى قدمك .

(القطع) تقدم تفسيره ولا يكون إلا في آخر الليل ، قال :

افتحي الباب وانظري في النجــوم

كم علينا من قطـــع ليـــل بهيم

الاعراب :

(فأسر بأهلك بقطع من الليــل) الفاء الفصيحة وأسر فعــل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبأهلك حال وبقطـــع متعلقان بأسر ومن الليل صفة لقطع . (واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون) واتبع عطف عــلى فأسر وأدبارهم مفعول به والواو حرف عطف ولا ناهية ويلتفت مجزوم بلا ومنكم حال لأنه كان في الأصل صفة وأحد فاعل وامضوا عطف أيضاً وحيث ظرف مبهم في محل نصب مفعول لأمضوا ولإبهامه تعدى إليه الفعل من غير واسطة وجملة تؤمرون

مضاف اليها الظرف • (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) وقضينا فعل وفاعل واليه جار ومجرور متعلقان بقفينا لأنها تضمنت معنى أوحينا وذلك مفعول قفينا والأمر بدل من اسم الاشارة وأن وما في حيزها مصدر مؤول بـدل من ذلك الأمر أو خبر لمبتـدأ محذوف وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم لشأنه وان واسمها ومقطوع خبرها ومصبحين حال من الضمير المستقر في مقطوع وجمعه على المعنى فيكون معنى مقطوع مقطوعـين • (وجاء أهـل المدينة يستبشرون)الواو عاطفة وجاء أهل المدينة فعل وفاعل وجملة يستبشرون حال • (قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) إن واسمها وخبرها والفاء الفصيحة ولا ناهية وتفضحوني مجزوم بلا والواو فاعل والنون نون الوقاية والياء المحـذوفة لمراعـاة الفواصل مفعول به • (واتقوا الله ولا تخزون) عطف على ما تقدم وقد تقدم إعراب نظيرها • (قالوا أولم ننهك عن العالمين) الهمزة للاستفهام والواو عاطفة عـلى محذوف ولم حرف نفي وقلب وجزم وننهك فعل مضارع مجزوم بلم والكاف مفعول به وعن العالمين متعلقان بننهك وأصح الأقوال في نهيه عن العالمين هو نهيه عن أن يجير أحداً منهم ويمنع بينهم وبين قومه • (قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين) هؤلاء بناتي مبتدأ وخبر ولا بد من تقدير محذوف أي فانكحوهن ويجوز أن يكون هؤلاء مفعولاً به بفعل مقدر أي انكحوا هؤلاء وبناتي بدل وإن شرطية وكنتم كان واسمها وهي في محل جزم فعل الشرط وفاعلـين خبر كنتم وجواب إن محـذوف دل عليه ما قبله المحذوفة أي فانكحوهن • (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) اللام للابتداء وعمرك مبتدأ محذوف الخبر وجوباً تقديره قسمي وجملة إنهم جواب القسم لا محـل لها وان واسمها واللام المزحلقة وفي سكرتهم متعلقـان بيعمهون وجملة يعمهون خبر إنهم وجملة لعمرك إنهـم لفي

سكرتهم يعمهون إعتراضية • (فأخذتهم الصيحة مشرقين) الفاء عاطفة وأخذتهم الصيحة فعل ومفعول به وفاعل ومشرقين حال أي داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس • (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) الفاء عاطفة والعطف مرتب على أخذ الصيحة وجعلنا فعل وفاعل وعاليها مفعول جعلنا الأول وسافلها مفعول جعلنا الثاني وأمطرنا عطف على جعلنا وحجارة مفعول به وعليهم متعلقان بأمطرنا ومن سجيل صفة لحجارة • (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمها وللمتوسمين صفة لآيات أو تتعلق بنفس الآيات لأنها بمعنى العلامات • (وانها لبسبيل مقيم) ان واسمها والضمير يعود للمدينة وهي سدوم والمراد آثارها واللام المزحلقة وبسبيل خبرها ومقيم صفة أي ثابت مسلوك يعرفه الناس وفيه تنبيه لقريش انكم لتمرون عليها كل يوم • (إن في ذلك لآية للمؤمنين) تقدم اعراب نظيرتها •

البلاغة :

شملت الآية الكريمة وهي « فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون » شملت على وجازتها آداب المسافرين لأمر مهم ديني أو دنيوي من الآمر والمأمور والتابع والمتبوع وسنلخص ما ورد فيها من آداب :

١ ــ أمره بأن يقدمهم أمامه لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعاً عليهم وعلى أحوالهم •

٢ ــ جعل السرى في آخر الليل لأنه أخفى للويل ولأن الانسان يكون نشيطاً فيه •

٣ ـ نهاهم عن الالتفات الذي يعوق الساري المسرع المغذ في سراه في تلك الحالة المهولة المحذورة ولئلا يروا ما حلّ بقومهم من العذاب فترق قلوبهم لهم .

٤ ـ ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض فيصيبه العذاب ولأن المتلفت يقف دائماً ويتذكر مرابعه ومراتعه فيتحسر ويأسى وقد يدوم النشيج كما حدث للصمة بن عبد الله .

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا

وكما حدث للشريف الرضي :

ولقد وقفت على ديارهم وطلولها بيد البلى نهب
وبكيت حتى ضج من لغب نضوي ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

الفوائد :

وفي أمثال العرب : « أجور من قاضي سدوم » قالوا بفتح السين مدينة من مدائن قوم لوط ، قال الأزهري قال أبو حاتم في كتابه الذي صنفه في المفسد والمذال : إنما هو سذوم بالذال المعجمة والدال خطأ قال الأزهري : وهذا عندي هو الصحيح قال الطبري : « هو ملك من بقايا اليونانية غشوم كان بمدينة سرمين من أرض قنسرين » وهذا هو الذي اعتمده صاحب القاموس فحمله على تغليط الجوهري وقال الثعالبي : إن سدوم من الملوك المتقدمين المتصفين بالجور « كالة » قاض

أشد جوراً منه قال الزبيدي : « وقد علم مما تقدم أن المثل مضبوط بالوجهين وان المشهور فيه اهمال الدال » ونقل عن الشهاب انه يسكن أن يكون بالمعجمة في الأصل قبل التعريب ، فلما عرب أهملوا داله .

وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾

اللغــــة :

(الايكة) : هي غيضة شجر بقرب المـــدينة وأصحابها هـــم قوم شعيب وفي المختار : الأيك الشجر الملتف والكثير والواحدة أيكة مثل تمر وتمرة .

(الحجر) : واد بين المدينة والشام وهم قوم ثمود .

الاعراب :

(وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين) الواو استئنافية أو عاطفة وإن

مخففة من الثقيلة مهملة أو عاملة واسمها ضمير الشأن المحذوف أي وإن الشأن كان أصحاب الأيكة وكان واسمها والأيكة مضاف اليه واللام الفارقة وظالمين خبر كان • (فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين) فانتقمنا الفاء عاطفة على محذوف أي أمعنوا في الإثم فانتقمنا ، وانتقمنا فعل وفاعل ومنهم متعلقان بانتقمنا وإنهما الواو حالية أو عاطفة وإنهما ان واسمها والميم والألف حرفان دالان على التثنية واختلف في عودتهما فقيل يعني قرى قوم لوط والأيكة وقيل يعودان على الأيكة ومدين لأن شعيباً كان مبعوثاً اليهما فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما وقيل يعود على لوط وشعيب وقيل يعود على الخبرين خبر إهلاك قوم لوط وخبر إهلاك قوم شعيب واللام المزحلقة وبإمام خبر إنهما وسمي الطريق إماماً لأن السالك فيه يأتم به حتى يصل الى الموضع الذي يريده ومبين صفته • (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) عطف على ما تقدم لتتساوق القصص واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وكذب أصحاب الحجر فعل وفاعل والمرسلين مفعول به وهذا شروع في قصة صالح • (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به أول وآياتنا مفعول به ثان فكانوا عطف على آتيناهم وكان واسمها وعنها متعلقان بمعرضين ومعرضين خبر كانوا (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين) وكانوا عطف وكان واسمها وجملة ينحتون خبرها ومن الجبال حال لأنه كان في الأصل صفة أو بينحتون وبيوتاً مفعول به وآمنين حال من الضمير في ينحتون أي حال كونهم آمنين عليها من أن تتهدم لاستيثاق بنائها واستحكامها أو من الاستهداف للغارات والاعتداءات لأنها معاقل حصينة لهم • (فأخذتهم الصيحة مصبحين) الفاء عاطفة وأخذتهم فعل ومفعول به مقدم والصيحة فاعل مؤخر ومصبحين حال أي داخلين في وقت الصباح • (فما أغنى

عنهم ماكانوا يكسبون) الفاء عاطفة وما نافية وأغنى فعل ماض وعنهم متعلقان بأغنى وما فاعل وجملة كانوا صلة وجملة يكسبون خبر كانوا ويجوز أن تكون ما استفهامية مفعولاً مقدماً لأغنى ويجوز أن تكون ما مصدرية والاعراب واحد • (وماخلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) الواو عاطفة وما نافية وخلقنا السموات فعل وفاعل ومفعول به والأرض عطف على السموات وإلا أداة حصر وبالحق حال والباء للملابسة أي ملتبساً بالحق والحكمة والمصلحة • (وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل) الواو عاطفة وإن واسمها واللام المزحلقة وآتية خبرها والفاء الفصيحة واصفح فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والصفح مفعول مطلق والجميل صفة •

البلاغة :

١ ـ في قوله تعالى : « وان كان أصحاب الأيكة لظالمين » مجاز مرسل علاقته الحالية لأن الأيكة هي شجر ملتف مزدحم •

٢ ـ في قوله « لبإمام مبين » استعارة تصريحية لأن الطريق سبيل للوصول والمسافر فيه يتبعه حتى النهاية فاستعمل المشبه به بدلاً عن المشبه •

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ

إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

اللغـــة :

(المثاني) : المراد بالمثاني هنا مختلف فيه فقيل الفاتحة لأنها تثنى في كل ركعة وهي سبع آيات وقيل هي السور السبع الطوال وهي جمع مثناة مؤنث مثنى وقد تقدم بحثه مفصلاً في النساء وسميت السور السبع الطوال مثاني لما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد والكلام في ذلك مبسوط في المطولات .

(عضين) : جمع عضة وأصلها عضوة من عضي الشاة إذا جعلها أعضاء وقيل عضهة من عضهته إذا بهته وفي المختار : « قال الكسائي : العضة الكذب والبهتان وجمعها عضون مثل عزة وعزون قال الله تعالى :

« الذين جعلوا القرآن عضين » قيل نقصانه الواو وهو من عضوته أي فرقته لأن المشركين فرقوا أقاويلهم فيه فجعلوه كذباً وسحراً وكهانة وشعراً وقيل نقصانه الهاء وأصله عضهة لأن العضة والعضين في لغة قريش السحر يقولون للساحر عاضه » وسيأتي مزيد بحث عن الملحقات بجمع المذكر السالم في باب الفوائد .

(فاصدع) : فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الإبانة وقال الضحاك : وأصل الصدع الشق والفرق أي افرق بين الحق والباطل وسيأتي مزيد بحث عن هذا التعبير العجيب في باب البلاغة .

الاعراب :

(ان ربك هو الخلاق العليم) ان واسمها وخبرها ، وهو ضمير فصل (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) كلام مستأنف مسوق لتنبيه المسلمين الى أن ما أنزل عليهم خير من متاع الدنيا قيل : وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع . واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتيناك فعل ماض وفاعل ومفعول به أول وسبعاً مفعول به ثان ومن المثاني صفة لسبعاً والقرآن عطف على سبعاً من قبيل عطف الصفات مع وحدة ذات الموصوف والعظيم صفة للقرآن . (لا تمدّنّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم) لا ناهية وتمدن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد

الثقيلة وهو في محل جزم بلا الناهية والفاعل مستتر تقديره أنت وعينيك مفعول به والى ما متعلقان بتمــدن وجملة متعنا صلة وبه متعلقان بمتعنا وأزواجاً مفعول متعنا ومنهم صفة لأزواجاً والمراد بالأزواج الأصناف منهم أي أن ما أوتيته من نعماء سابغة يضؤل أمامه كل مافي الدنيا من بهارج الحياة وتزاويقها • (ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين) ولا تحزن عطف على لا تمدن وعليهــم متعلقان بتحزن واخفض عطف أيضاً وجناحك مفعول به وللمؤمنين متعلقان باخفض • (وقل إني أنا النذير المبين) إن واسمها وأنا مبتدأ أو ضمير فصل والنذير خبر أنا أو خبر إن والمبين صفة • (كما أنزلنا عــلى المقتسمين) كما فيها وجهان أحدهما أن يتعلقا بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون والثاني أن يتعلقا بالنذير أي ينزل عليك مثل الذي نزل بأهل الكتاب وعلى كل حال صفة لمفعول مطلق محذوف وعلى المقتسمين جار ومجرور متعلقان بأنزلنا وسيأتي بيانهم • (الذين جعلوا القرآن عضين) الــذين صفــة للمقتسمين وجملة جعلوا صلة والقرآن مفعول جعلوا وعضين مفعول به ثان أي قسموا القرآن أقساماً فجعلوه سحراً وشعراً وأساطير وقد اختلف بهؤلاء المقتسمين وقصصهم اختلافاً يخرج بنا عن النهــج المقرر للكتاب فارجع اليه في المطولات • (فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون) الفاء عاطفة والواو للقسم وربك مجرور بواو القسم وهما متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم ، واللام واقعة في جواب القسم ولنسئلنهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به وأجمعين تأكيد (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) الفاء الفصيحة أي إن عرفت هذا فاصدع ، واصدع فعل أمر وفاعله أنت وبما متعلقان به وما مصدرية أو موصولة وعن المشركين متعلقان بأعرض • وقد رجح ابن هشام في المغني أن تكون مصدرية وعلل ذلك ابن الشجري قال : فيه أي في الموصولية خمسة حذوف والأصل بما تؤمر بالصدع به فحذفت

الباء فصار بالصدعة فحذفت أل لامتناع اجتماعها مع الاضافة فصار يصدعه ثم حذف المضاف كما في : واسأل القرية فصار به ثم حذف الجار كما قال عمرو بن معد يكرب :

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ‌‌ ‌‌ فقد تركتك ذا مال وذا نشب

فصار تؤمره ثم حذفت الهاء كما حذفت في : أهذا الذي بعث الله رسولاً وانما ارتكب خمسة الحذوف لأجل أن يكون جارياً على القياس في حذف العائد المجرور لأنه لا يحذف العائد المجرور إلا إذا كان مجروراً بمثل الحرف الذي جر الموصول وأن يكون كل من الحرفين متعلقاً بعامل مماثل لما تعلق به الآخر فقول ابن الشجري : والأصل بما تؤمر بالصدع به العائد متعلق بمثل ما تعلق به الجار للموصول ولو قال : اصدع بما تؤمر به لم توجد تلك الشروط لاختلاف المتعلق لأن الباء الأولى متعلقة بالصدع والثانية متعلقة بتؤمر • (إنا كفيناك المستهزئين) ان واسمها وجملة كفيناك خبرها وهو فعل وفاعل ومفعول به والمستهزئين مفعول به ثان • (الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون) الذين صفة للمستهزئين وجملة يجعلون صلة والواو فاعل ومع الله ظرف مكان متعلق بمحذوف مفعول به ثان ليجعلون وإلهاً مفعول به وآخر صفة والفاء استئنافية وسوف حرف استقبال ويعلمون فعل مضارع وفاعل والمفعول محذوف أي عاقبة أمرهم • (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وقد حرف تقليل والمراد به هنا التكثير والتحقيق ونعلم فعل مضارع فاعله مستتر تقديره نحن وأنك أن وما في حيزها سدت مسد مفعولي نعلم وان واسمها وجملة يضيق صدرك خبرها وصدرك فاعل يضيق وبما متعلقان بيضيق وجملة يقولون صلة والعائد محذوف أي يقولون من أقاويل ويرجفون به من أراجيف • (فسبح بحمد ربك وكن من

الساجدين) الفاء الفصيحة وسبح بحمد ربك تقدم إعرابه قريباً وكن مع الساجدين كان واسمها ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبرها والساجدين مضاف اليه . (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) حتى حرف غاية وجر ويأتيك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والكاف مفعول به واليقين فاعل وسمي الموت يقيناً لأنه متيقن الوقوع .

البلاغة :

١ ــ في قوله « فاصدع بما تؤمر » استعارة مكنية فالمستعار منه الزجاجة والمستعار الصدع وهو الشق والمستعار له هو عقوق المكلفين وهو من استعارة المحسوس للمعقول وقد تقدمت الاشارة الى أقسام الاستعارة والمعنى صرح بجميع ما أوحي اليك وبين كل ما أمرت ببيانه وإن شق ذلك على بعض القلوب فانصدعت والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصديع في القلوب فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من التقبض والانبساط ويلوح عليها من علامات الانكار والاستبشار كما يظهر ذلك على ظاهر الزجاجة المصدوعة فانظر الى هذه الاستعارة ما أروعها وما أبعد دلائلها ومراميها وما أوجزها لأنها وقعت في ثلاث كلمات انطوت على ما يستوعب الصفحات ، قال عبد الله بن عبيدة ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفياً حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه .

ويروى أن بعض الأعراب لما سمع هذه اللفظات الثلاث سجد فقيل له : لم سجدت ؟ فقال : سجدت لفصاحة هذا الكلام لأنه أدرك منه بديهاً من غير تأمل كل ما أدركناه بعد الروية والنظر ومن هذا يتبين لك أن العرب تيقنت من أول ما سمعت القرآن أنه غير مقدور للبشر فلم تشتغل بالمعارضة ولا حدثت نفوسها بها .

٢ ــ في قولــه « واخفض جناحك للمؤمنــين » استعارة مكنية وسيأتي القول فيها مسهباً عند قولــه « واخفض لهما جناح الذل من الرحمــــة » •

الفوائــد :

الملحق بجمع المذكر السالم :

حملوا عــلى جمع المــذكر السالم أربعة أنواع أعربت بالحروف وليست جمعاً مذكراً سالماً وهي كما يلي :

الأول : أسماء جمــوع : وهي : أولو بمعنى أصحاب ، وعالمون اسم جمع عالم بفتح اللام وليس جمعاً له لأن العالم عــام في العقــلاء وغيرهم والعالمون مختص بالعقلاء والخاص لا يكون جمعاً لما هو أعم منه ، وعشرون وبابه وهو سائر العقود الى التسعين وقد وردت العقود كلها في القرآن وقد أحصيناها على الشكل التالي :

آ ــ « ان يكن منكم عشرون صابرون » •

ب ــ « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة » •

جـ ــ « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً » •

د ــ « فإطعام ستين مسكيناً » •

هـ ــ « ذرعها سبعون ذراعاً » •

و ــ « فاجلدوهم ثمانين جلدة » •

ز ـ « إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة » .

الثاني : جموع تكسير تغير فيها بناء الواحد وأعربت بالحروف وهي : (بنون) جمع ابن وقياس جمعه جمع السلامة ابنون كما يقال في تثنيته ابنان ولكن خالف تصحيحه تثنيته لعلة تصريفية أدت الى حذف الهمزة وذلك أن ابن أصله بنو حذفت لامه للتخفيف وعوض عنها همزة الوصل والجمع يرد الأشياء إلى أصولها فلما جمع رجعت الواو فذهبت الهمزة ثم حذفت الواو والمحذوف لعلة كالثابت فلم تأت الهمزة وأما التثنية فلو رجعت الواو لم يكن هناك ما يقتضي حذفها لأنها متحركة بالفتح والفتح خفيف وقد حذفت أولاً لغرض التخفيف فلو حذفت لزال ذلك الغرض والمانع من حذفها لو رجعت ومن قلبها ألفاً سكون ما بعدها كما في بيان ولو حذفت لصار اللفظ بنان فيحصل اللبس ببنان الكف بخلاف بنون فليتأمل وأرضون بفتح الراء جمع أرض بسكونها وجمع هذا الجمع لأنه ربما يورد في مقام الاستعظام كقوله :

لقد ضجت الأرضون إذ قام من بني

سدوس خطيب فوق أعواد منبر

إلا أنه سكن الراء للضرورة ، وسنون بكسر السين جمع سنة بفتحها اسم للعام ولامها ولو أو هاء لقولهم سنوات وسنهات وبابه وهو شائع في كل اسم ثلاثي حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولم يكسر نحو عضة وعضين وأصل عضةعضه بالهاء من العضه وهو البهتان والكذب وفي الحديث : لا يعضه بعضكم بعضاً وقيل أصله عضو من قولهم عضيته تعضية إذا فرقته فعلى الاول لامها هاء ويدل له تصغيرها على عضيهة وعلى الثاني واو ويدل له جمعها على عضوات فكل من التصغير

والجمع يردان الأشياء الى أصولها ، وعزة وعزين والعزة بكسر العين وفتح الزاي أصلها عزى فلامها ياء وهي الفرقة من الناس والعزين الفرق المختلفة لأن كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي إليه الأخرى ، وثبة وثبين والثبة بضم الثاء وفتح الباء الجماعة وأصلها ثبو وقيل ثبي من ثبيت أي جمعت فلامها على الأول واو وعلى الثاني ياء ولا يجوز في نحو اسم واخت وبنت لأن العوض فيهن عن لامهن المحذوفة غير الهاء ، أما اسم فأصله سمو فحذفت لامه وعوض عنها الهمزة في أوله وأما أخت وبنت فأصلهما أخو وبنو وحذفت لامهما وعوض منهما تاء التأنيث لا هاء التأنيث والفرق بينهما أن تاء التأنيث فيهما لا تبدل هاء في الوقف وتكتب مجرورة وهاء التأنيث يوقف عليها بالهاء وتكتب مربوطة ولا في نحو شاة وشفة لأنهما كسرا على شفاه وشياه ، قال الجوهري : وإنما لم يجمعا بالحروف لأن العرب استغنت بتكسيرهما عن تصحيحهما .

الثالث : مما حمل على هذا الجمع جموع تصحيح لم تستوف شروط الجمع كأهلون ووابلون لأن أهلاً ووابلاً ليسا علمين ولا صفتين ولأن وابلاً غير عاقل والمعروف أن شرط هذا الجمع أن يكون لعلم من يعقل أو صفته .

الرابع : ما سمي به من هذا الجمع ومما ألحق به فالأول نحو زيدون مسمى به شخص والثاني كعليون فإنه ملحق بهذا الجمع وسمي به أعلى الجنة قال تعالى : « إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون » وهناك تفاصيل أخرى لا حاجة إلى اثباتها لأنها دون الفصيح ولهذا أضربنا عن ذكرها ويرجع اليها في المطولات .

سورة النحل

مكية وآياتها ثمان وعشرون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾

اللغـــة :

(نطفة) : في المصباح : « نطف الماء ينطُف من باب قتل سال ، وقال أبو زيد : نطفت القربة تنطُف وتنطِف نطفاناً إذا قطرت والنقطة ماء الرجل والمرأة وجمعها نطف ونطاف مثل برمة وبرام والنطفة أيضاً الماء الصافي قلّ أو كثر ولا فعل للنطفة أي لا يستعمل لها فعـل من لفظها » وفي المختار أن نطف من بابي قتل وضرب •

(خصيم) : شديد الخصومة وفيه معنيان أحدهما أنه خصيم لربه منكر على خالقه قائل « من يحيي العظام وهي رميم » والثاني فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم باللـدد والجدل والسفسطة وما إلى ذلك من ضروب الوقاحـة والشرة وسيأتي المزيـد من هذا في باب البلاغة •

(دفء) : في المختار : « الدفء نتاج الإبل وألبانها وما ينتفع به منها قال الله تعالى : « لكم فيها دفء » وفي الحديث : « لنا من دفئهم ماسلموا بالميثاق » وهو أيضاً السخونة اسم من دفيء الرجل : من باب طرب وسلم فالذكر دفآن والأنثى دفأى مثل غضبان وغضبى ورجـل دفيء بالقصر ورجـل دفيء بالمـد » وفي المصباح : « دفيء البيت يدفأ مهموز من باب تعب قالوا : ولا يقال في اسم الفاعل دفيء وزان كريم بل وزان تعب ودفيء الشخص فالذكر دفآن والأنثى دفأى مثـل غضبان وغضبى إذا لبس ما يدفئه ودفؤ اليوم مثل قرب والدفء وزان حمل خـلاف البرد » وفي القاموس : « والدفء بالكسر ويحـرك نقيض حدة البرد كالدفاءة والجمـع أدفاء دفيء كفرح وكرم وتدفأ واستدفأ وادّفأ وأدفأه ألبسه الـدفء والدفآن المستدفيء كالدفيء والـدفء

بالكسر نتاج الابل وأوبارها والانتفاع بها وما أدفأ من الأصواف والأوبار » وقال الزمخشري : « والدفء اسم ما يدفأ به كما أن الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر » فتلخص أن للدفء ثلاثة معان :

١ ـ ضد البرودة أي السخونة .

٢ ـ ما يتدفأ به من الثياب .

٣ ـ ما يتحصل من الإبل من نتاج ولبن ومنافع .

(تريحون) : تردونها الى مراحها بالعشي .

(تسرحون) : تخرجونها الى المرعى بالغداة وسيرد المزيد من بحث الاراحة والتسريح في باب البلاغة وفي المصباح : سرحت الابل سرحاً من باب نفع وسروحاً رعت بنفسها وسرحتها يتعدى ولا يتعدّى وسرحتها بالتثقيل مبالغة وتكثير .

(بشق الانفس) : بجهدها بكسر الشين وفتحها وهما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المكسور بمعنى النصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد وأما المفتوح فهو مصدر شق عليه الأمر شقاً وحقيقته راجعة الى الشق وهو الصدع وفي المختار : « الشق بالكسر نصف الشيء والشق أيضاً المشقة ومنه قوله تعالى : « إلا بشق الأنفس » وهذا قد يفتح » .

(قصد السبيل) : القصد : مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه .

(جائر) : حائد عن الاستقامة .

الاعراب :

(أتى أمر الله فلا تستعجلوه) أتى فعل ماض وأمر الله فاعله عبر عن المستقبل بالماضي لأنه بمثابة الأمر الواقع الذي لا محيد عنه ، والفاء عاطفة ولا ناهية وتستعجلوه فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل والهاء مفعول به • (سبحانه وتعالى عما يشركون) سبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف وتعالى فعل ماض وعما تنازعه كل من سبحانه وتعالى وما يحتمل أن تكون مصدرية فلا تحتاج الى عائد ويحتمل أن تكون موصولة فتحتاج الى تقدير عائد وجملة يشركون لا محل لها على كل حال • (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) ينزل الملائكة فعل وفاعل مستتر ومفعول به وبالروح متعلقان بينزل أو بمحذوف حال أي ملتبسة بالروح ومن أمره متعلقان بمحذوف حال وعلى من يشاء متعلقان بينزل ومن عباده حال • (أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) أن مخففة وهي وما في حيزها بدل من قوله بالروح أي ينزل الملائكة بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا فاسم أن ضمير الشأن وجملة أنذروا مقول قول محذوف أي بأن الشأن أقول لكم أنذروا ولك أن تجعل أن مفسرة لأن الروح بمعنى الوحي الذي فيه معنى القول دون حروفه وأنه سدت مع مافي حيزها مسد مفعول أنذروا لأنه متضمن معنى أعلموا الناس أو تكون أنذروا على معناها الأصلي وأنه نصب بنزع الخافض أي أنذروا بأنه وجملة لا إله إلا أنا خبر أنه وقد تقدم القول مفصلاً في « لا إله إلا الله » ، فاتقون : الفاء الفصيحة أي إذا كان الأمر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الأنبياء وأمرهم بأن ينذروا الناس أنه لا شريك له في الألوهية فاتقون في الإخلال بمضمونه ، واتقون فعل أمر وفاعل والنون للوقاية وياء المتكلم

حذفت لمراعاة الفواصل . (خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون) خلق السموات والأرض فعل وفاعل مستتر والسموات مفعول به والأرض عطف على السموات وبالحق في محل نصب على الحال أي محقاً وتعالى فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وعما متعلقان بتعالى وجملة يشركون صلة لما . (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) خلق الانسان فعل وفاعل مستتر ومفعول به ومن نطفة متعلقان بخلق ومن للابتداء فإذا الفاء عاطفة واذا الفجائية وهو مبتدأ وخصيم خبر ومبين صفة . (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) الواو عاطفة والأنعام منصوب بفعل محذوف يفسره ما بعده وخلقها فعل وفاعل مستتر ومفعول به والجملة مفسرة ولكم خبر مقدم وفيها حال ودفء مبتدأ مؤخر والجملة حالية ويجوز أن تكون مستأنفة ويجوز أن يكون لكم حالاً من دفء وفيها الخبر ، وقع الاسم المشتغل عنه وهو الانعام بعد عاطف غير مفصول من الاسم بأما مسبوق بفعل وهو خلق الانسان من نطفة فترجح نصبه لأن المتكلم عاطف جملة فعلية على جملة فعلية والرافع عاطف جملة اسمية على جملة فعليه وتشاكل الجملتين أحسن من تخالفهما وقد يقال : إن في الرفع تخلصاً من تقدير العامل فلكل مرجح فكان ينبغي التساوي لا أرجحية النصب ويجاب بأن مراعاة التشاكل أقوى مما ذكر ومنافع عطف على دفء ومنها متعلقان بتأكلون وتأكلون فعل مضارع وفاعل وتقديم الجار والمجرور وهو معمول للفعل يوجب حصره فيه . (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) الواو عاطفة ولكم خبر مقدم وفيها حال وجمال مبتدأ مؤخر وحين ظرف متعلق بمحذوف صفة وجملة تريحون مضاف اليها وكذلك قوله وحين تسرحون وسيأتي مزيد بحث عن الإراحة والتسريح في باب البلاغة . (وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس)

الواو عاطفة وتحمل أثقالكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والى بلد متعلقان بتحمل وجملة لم تكونوا بالغيه صفة لبلد وبالغيه خبر تكونوا وإلا أداة حصر وبشق الانفس في موضع نصب على الحال من الضمير المرفوع في بالغيه أي مشقوقاً عليكم. (إن ربكم لرءوف رحيم) ان واسمها واللام المزحلقة ورءوف رحيم خبران. (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) والخيل وما بعده عطف على الانعام أي وخلق هؤلاء للركوب والزينة ولتركبوها مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور في موضع نصب مفعول لأجله وزينة عطف على محل لتركبوها وجر الأول بالجر لاختلاف الفاعل لأن الركوب فعل المخاطبين وفاعل الخلق هو الله تعالى أما زينة فهي من فعله تعالى ولذلك نصبت فالمزين والخالق هو الله ويجوز أن تعرب نصباً على الحال من الهاء في تركبوها. (ويخلق ما لا تعلمون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان إحاطته تعالى وقدرته وان ما تناهى اليهم علمه يعد ضئيلاً جداً بالنسبة إلى علمه الواسع. (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر) على الله خبر مقدم وقصد السبيل مبتدأ مؤخر ومنها خبر مقدم وجائر صفة لموصوف هو المبتدأ المؤخر أي سبيل جائر أي حائد عن الاستقامة. (ولو شاء لهداكم أجمعين) الواو عاطفة ولو امتناعية شرطية ومفعول شاء محذوف أي شاء هدايتكم واللام رابطة لجواب لو وهداكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به وأجمعين تأكيد.

البلاغة :

١ ـ الايجاز في قوله تعالى « حين تريحون وحين تسرحون » فقد انطوت كلمتا « تريحون » و « تسرحون » على الكثير من المعاني والصور، مما يضفي على مقتني هذه الأنعام جمالاً ورواءً وأبهة ليس

في المكنة تصوره لأن الرعاة إذا ردوا الأنعام بالعشي الى مراحها أي مأواها بالليل أو سرحوها عند الغداة إلى المراعي المعشوشبة وعرجوا على الأفنية والبيوت رغت الإبل وخارت البقر وثغت الشاء فتجاوب ذلك كله مع صياح الصبيان وحديث العقائل والأوانس وهن يتهادين متخطرات متوثبات شمل الفرح الجميع ، ورقصت النعمة ، ورفرفت السعادة وقدم الإراحة على التسريح لأن الجمال في الإراحة أكثر تقبل وهي ملأى البطون حافلة الضروع معسولة الحلب •

٢ ـ المجاز المرسل في قوله « فإذا هو خصيم مبين » لأن الفاء تدل على التعقيب وكونه خصيماً مبيناً لا يكون عقب خلقه من نطفة ولكنه إشارة إلى ما تؤول إليه حاله فهو مجاز مرسل والعلاقة اعتبار ما سيكون كقوله تعالى « إني أراني أعصر خمراً » أي عنباً يئول إلى الخمر •

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ

مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾

اللغـــة :

(تسيمون) : ترعون دوابكـم من سامت الماشية إذا رعت فهي سائمة وأسامها صاحبهـا وهي من السومة وهي العلامة لأنهـا تؤثر بالرعي علامات في الأرض •

قال السيوطي : لم يأت اسم المفعول من أفعل عـلى فاعل إلا في حرف واحد وهو قول العرب : أسمت الماشية من المرعى فهي سائمة ولم يقولوا مسامة وقوله تعالى : « فيه تسيمون » من أسام يسيم واجب المراد اسمتها أنا فسامت هي فهي سائمة كما تقول : أدخلته الدار فدخل فهو داخل •

(ذرأ) : خلق وذرأنا الأرض وذروناها : بذرناها وذرأ الله الخلق وبرأ ومَن الذارىء البارىء سواه واللهم لك الذَّرء والبَرء ، ومنك السَّقم والبُرء ، وقد علته ذُرْأة وهي بياض الشيب أول مايبدو في الفودين وقد ذرىء رأسه ذرءاً ورجل أذرأ وامـرأة ذَرْءاء بيضاء الرأس أو بيضاء الوجه قال :

فمرّ ولما تسخن الشمس غُــدوة

بذَرْءاء تدري كيف تمشي المنائح

أي مُنحت كثيراً فاعتادت ذلك فهي تسامح بالمشي لاتأبى .

(طرياً) : الطراوة ضد اليبوسة أي غضاً جديداً ويقال طريت كذا أي جددته وفي المصباح : طرو الشيء وزان قرب فهو طري أي غضّ بين الطراوة وطرىء بالهمز وزان تعب لغة فهو طريء بين الطراوة وطرأ فلان علينا يطرأ مهموز بفتحتين طروءا طلــع فهو طارىء وطرأ الشيء يطرأ أيضاً طرآناً مهموز حصل بغتة فهو طارىء وأطريت العسل بالياء عقــدته وأطريت فلاناً مدحته بأحسن مافيه وستأتي النكتة في وصف اللحم بالطراوة أو الطراءة في باب البلاغة .

(حلية) : في المصباح : « حلي الشيء بعيني وبصدري يحلى من باب تعب حسن عندي وأعجبني وحليت المرأة حلياً ساكن اللام لبست الحلى وجمعه حلي والأصل على فعول مثل فلس وفلوس والحلية بالكسر الصفة والجمع حلى مقصور وتضم الحاء وتكسر وحلية السيف زينته ، قال ابن فارس: ولا تجمع وتحلت المرأة لبست الحلي أو اتخذته وحليتها بالتشديد ألبستها الحلي أو اتخذته لها لتلبسه وحليت السويق جعلت فيه شيئاً حلواً حتى حلا » وفي القاموس وشرحه وغـيرهما : الحَلْي وجمعه حُلِي وحِلِيّ والحِلية وجمعها حليّ وحُلىً على غير القياس ما يزين به من مصوغ المعـــدنيات أو الحجارة الكريـــة وقول بعض المفـسرين : اللؤلؤ والمرجان تفسير معنى للحلية لا تفسير لغــة والمراد بلبسهم لبس نسائهم لأنهن من جملتهم ولأنهن إنما يتزين من أجلهــم فكأنها زينتهم ولباسهم .

(مواخر) : جواري والمخر شق المـاء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وفي المختار : « مخرت السفينة من باب قطع ودخل جرت تشق الماء مع صوت ومنه قوله تعالى : وترى الفلك مواخر فيه أي جواري » وفي الأساس : « فلك مواخر تمخر المـاء تشقه مع صوت ونشأت بنات مخـر وهي سحاب الصيف تمخـر الجو مخـراً واستمخرتُ الريح استقبلتها بأنفي وخرجت أتمخر الريح وأستنشئهـا ومخرت الأرض مخراً سقيتها لتطيب » .

(تميد) : تميل بكم وفي المختار : « ماد الشيء يميد ميداً مـن باب باع ومادت الأغصان والأشجار تمايلت وماد الرجل : تبختر » وفي القاموس : « ماد يميد ميداً ومَيَداناً تحرك وزاغ والسراب اضطرب والرجـل تبختر وأصابه غثيان ودوار من سكر أو ركوب بحر ومنـه المائدة : الطعام والخوان عليه الطعام كالمَيْدة فيهما »

(علامات) جمع علامة ففي المصباح : « وأعلمت على كذا بالألف من الكتاب وغيره جعلت عليه علامة وأعلمت الثوب جعلت له علماً من طراز وغيره وهو العلامة وجمـع العلم أعلام وجمع العلامـة علامات وعلمت له علامة بالتشديد وضعت له أمارة يعرفها » .

الاعراب :

(هو الذي أنزل من السماء مـاء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون) هو مبتـدأ والذي خبره وجملة أنزل صلة ومن السماء جار ومجرور متعلقان بأنزل وماء مفعول به ولكم خبر مقدم ومنه متعلقان بمحذوف حال من شراب وشراب مبتدأ مؤخر والجملة صفة لماء ومنه

شراب جملة مستأنفة متألفة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وفيه متعلقان بتسيمون وجملة تسيمون صفة لشجر والباء للسببية أي بسببه ينبت الشجر . (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) ينبت فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره هو ولكم متعلقان بينبت وبه متعلقان بينبت أيضاً والباء للسببية والزرع مفعول به والزيتون والنخيل والأعناب عطف على الزرع ومن كل الثمرات عطف على ما تقدم أيضاً ومن تبعيضية أي وبعض كل الثمرات . (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقةوآية اسم إن المؤخر ولقوم صفة لآية وجملة يتفكرون صفة لقوم . (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر) وسخر لكم الليل فعل وفاعل مستتر ومفعول به ولكم متعلقان بسخر والشمس والقمر معطوفان على الليل والنهار . (والنجوم مسخرات بأمره)الواو عاطفة والنجوم مبتدأ ومسخرات خبر والجملة عطف على الجملة السابقة وبأمره متعلقان بمسخرات . (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) تقدم اعراب نظيرتها. (وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه) الواو عاطفةوما عطف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان ونبات وجماد ويجوز أن تنصبه بفعل محذوف أي وخلق وأنبت والمعنى واحد ولكم متعلقان بذرأ وفي الأرض متعلقان بذرأ أيضاً ومختلفاً حال وألوانه فاعل مختلفاً . (إن في ذلك لآية لقوم يذكرون) تقدم اعرابها .

(وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً) الواو عاطفة وهو مبتدأ والذي خبر وجملة سخر صلة والبحر مفعول به ولتأكلوا اللام للتعليل وتأكلوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بسخر ومنه متعلقان بتأكلوا ولحماً مفعول به

وطرياً صفة • (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) وتستخرجوا عطف على لتأكلوا ومنه متعلقان بتستخرجوا وحلية مفعول به وجملة تلبسونها صفة لحلية • (وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) الواو اعتراضية وترى الفلك فعل وفاعل مستتر ومفعول به والجملة معترضة ومواخر حال لأن الرؤية بصرية وفيه متعلقان بمواخر ولتبتغوا عطف على لتأكلوا ولعل واسمها وجملة تشكرون خبرها •

(وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) وألقى عطف على وسخر وفي الأرض متعلقان بألقى ورواسي صفة لمفعول به محذوف أي جبالاً رواسي وأن وما في حيزها مفعول لأجله أي كراهة أن تميل بكم وتضطرب كالمائد الذي يدار به إذا ركب البحر وبكم متعلقان بتميد • (وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون) وأنهاراً وسبلاً عطف على رواسي أو مفعول به لفعل محذوف والتقدير وجعل فيها لأن ألقى فيه معنى جعل قال تعالى : « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً » ولعل واسمها وجملة تهتدون خبرها • (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) وعلامات عطف على أنهاراً وسبلاً وبالنجم متعلقان بيهتدون وهم مبتدأ وجملة يهتدون خبره وقال ابن عطية : وعلامات نصب كالمصدر أي فعل هذه الأشياء لعلكم تعتبرون بها وعلامات أي عبرة واعلاماً في كل سلوك فقد يهتدى بالجبال والأنهر وبالسبل ، وهذا كلام غير مفهوم ولعل أبا البقاء كان على حق حين أعربها مفعولاً لفعل محذوف أي ووضع فيها علامات• (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف ومن مبتدأ وجملة يخلق صلة والكاف خبر من وجملة لا يخلق صلة لمن الثانية والهمزة انكار ثان والفاء عاطفة ولا نافية وتذكرون أصله تتذكرون فحذفت إحدى التاءين •

البلاغـة :

١ ـ التتميم :

في قوله تعالى « لتأكلوا منه لحماً طرياً » تتميم احتياط وقد تقدم أن التتميم فن يشتمل على كلمة لو طرحت من الكلام نقص معناه كما تقدم أنه ثلاثة أنواع تتميم نقص وتتميم احتياط وتتميم مبالغة وتقدمت الأمثلة عليه ونقول هنا انه علم سبحانه انه إذا لم يصف اللحم بالطراوة لم يكن مظنة للفساد ولكن المعروف أن الفساد الى اللحم الطري أكثر من غيره فلزم وصفه بها ليسارع الى أكله خيفة الفساد عليه ، وللفقهاء مباحث في لحم السمك تدل عـلى ذكاء وألمعية وسنشير اليهـا في باب الفوائد إشارة سريعة ، ولهذا التتميم فائدة عامة وهي التعليم والارشاد إلى أن اللحم لا ينبغي أن يتناول إلا طرياً والأطباء يقولون : إن تناوله بعد ذهاب طراوته أضر شيء يكون .

٢ ـ الالتفات :

في قوله تعالى : « وبالنجم هم يهتدون » التفات من الخطاب الى الغيبة والفائدة منه انه لما كانت الـدلالة من النجم أنفـع الدلالات وأوضحها في البر والبحر نبه على عظمها بالالتفات إلى مقام الغيبة لإفهام العموم ولئلا يظن أن المخاطب مخصوص بذلك وزاد التأكيد بتقـديم الجار والمجرور كأنما يشير من طرف خفي الى أن دلالة غير النجم ضئيلة لا يؤبه لها .

٣ ـ التشبيه المقلوب :

وذلك في قوله تعـالى « أفمن يخلق كمن لا يخلق » إذ مقتضى

الظاهر عكسه لأن الخطاب لعباد الأوثان حيث سموها آلهة تشبيهاً به تعالى فجعلوا غير الخالق كالخالق فجاءت المخالفة في الخطاب كأنهم لمبالغتهم في عبادتها ولاسفافهم ـ بالتالي ـ وارتكاس عقولهم صارت عندهم كالأصل وصار الخالق الحقيقي هو الفرع فجاء الانكار على وفق ذلك • وللتشبيه المقلوب أسرار كثيرة ومنها هذا السر الذي ألمعنا اليه ومنها أن ينسى الانسان أن المشبه به هو المقدّم لشدة ولعه بالمشبه فيعكس التشبيه كما فعل البحتري في وصف البركة التي بناها المتوكل على الله إذ قال :

كأنها حين لجت في تدفقها   يد الخليفة لمّا سال واديها

والمعهود أن تشبه يد الخليفة في تدفقها بالكرم بالبركة إذا تدفقت بالماء •

هذا وقد جرى الشعراء على مذهب القلب كثيراً فمنهم من أصاب كما أصاب أبو عبادة البحتري ومنهم من أخطأ وتعسف ، وزعم أبو بكر الصولي أن أبا تمام قد أخطأ في قلبه بقوله :

طلل الجميع لقد عفوت حميداً   وكفى على رزئي بذاك شهيدا

قال أبو بكر : « أراد وكفى بأنه مضى حميداً شاهداً على اني رزئت وكان وجه الكلام أن يقول : وكفى برزئي شاهداً على أنه مضى حميداً لأن حمد أمر الطلل قد مضى وليس بشاهد ولا بمعلوم ورزؤه بما ظهر من تفجعه شاهد معلوم فلأن يكون الحاضر شاهداً على الغالب أولى من أن يكون الغائب شاهداً على الحاضر » ومضى الصولي في نقده منكراً أن يكون القلب قد ورد في القرآن وان ما احتج به أصحاب

أبي تمام من قلب في القرآن على ما جاء به في بيته من قلب ليس صحيحاً رغم قول المفسرين وانه لهذا لا يصحّ القياس عليه فلا يصح القلب في بيت أبي تمام .

وهذا تعسف وتحامل من الصولي حـدا به الى انكـار ما انعقد الاجمـاع ودل المنطق عليه وسنعود الى مناقشتـه في مكان آخر من هذا الكتاب .

٤ ــ التغليب :

في قوله تعـالى أيضاً « أفمن يخلق كمن لا يخلق » اذ المراد بمن لايخلق الأصنام وجاء بمن الذي هو للعقلاء ذوي العلم وذلك لأنهم لما عبدوها وسموها آلهة أجروهـا مجرى أولي العلـم فجيء بمن على اعتقادهم ووفق ما هو مركوز في سلائقهم ، وأيضاً للمشاكلة بينها وبين الخالق الحقيقي وهو المعبر عنـه بقوله « أفمن يخلق كمن لا يخلق » قال العز بن عبد السلام هذه الآية مشكلة لأن قاعدة التشبيه تقتضي أن يقال أفمن لا يخلق كمن يخلق ولا يقال انهم كانوا يعظمون الأصنام أكثر من الله لأنهم لم يقولوا ذلك وإنما قالوا : نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى بخلاف قوله تعالى : أفنجعل المسلمين كالمجرمين وقوله : أم نجعل المتقين كالفجار فإنهم لما كانوا يقولون نحن نسود في الآخرة كما سدنا في الدنيا جاء الجواب عـلى وفق معتقدهم انهم أعلى والمؤمنون أدنى . وأجاب شيخ الاسلام زكريا في فتـح الرحمن : « بأن الخطـاب لعباد الأوثان وهم بالغوا في عبادتها حتى صارت عنـدهم أصلاً في العبادة والخالق فرعاً فجاء الانكار على وفق ذلك ليفهموا المراد على معتقدهم .

الفوائـد :

اللحم الطري ولحم السمك :

من طرائف الفقهاء أنهم يقولون : إذا حلف الرجل لا يأكل لحماً فأكل سمكاً لم يحنث فإذا اعترض عليهم معترض بأن الله تعالى سماه لحماً قالوا إن الأمر مبني على العادة وعادة الناس إذا ذكر اللحم على إطلاقه لا يفهم منه السمك قالوا : ألا ترى أنه لو حلف لا يركب دابة فركب كافراً لا يحنث وإن سماه الله دابة في قوله : « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا » وكذا لو خرب بيت العنكبوت لا يحنث بيمينه لا يخرب بيتاً وكذلك الألية وشحم البطن ليسا بلحم لأنهما لا يستعملان استعمال اللحم ولا يتخذ منهما ما يتخذ من اللحم ولا يسميان لحماً عرفاً إلى آخر هذه المباحث التي يرجع اليها في المطولات من كتب الفقه .

وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾

الاعراب :

(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) جملة مستأنفة مسوقة للتذكير الاجمالي بأنعم الله وآلائه وإن شرطية وتعدوا فعل الشرط والواو فاعل ونعمة الله مفعول به ولا نافية وتحصوها جواب الشرط والواو فاعل والهاء مفعول به . (إن الله لغفور رحيم) إن واسمها واللام المزحلقة للتوكيد وغفور خبر إن الاول ورحيم خبرها الثاني . (والله يعلم ما تسرون و ما تعلنون) الله مبتدأ وجملة يعلم خبر وفاعل يعلم مستتر تقديره هو وما مفعول به وجملة تسرون صلة وما تعلنون عطف على ما تسرون. (والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً وهم يخلقون) والذين مبتدأ وجملة يدعون صلة ومن دون الله حال وجملة لا يخلقون خبر الذين وشيئاً مفعول به والواو عاطفة أو حالية وهم مبتدأ وجملة يخلقون خبر وهو بالبناء للمجهول. (أموات غير أحياء ومايشعرون أيان يبعثون) أي هم أموات فهو خبر لمبتدأ محذوف وهو أولى من جعله خبراً ثانياً للذين وان كان لايمتنع وغير أحياء صفة لأموات قصد به التأكيد وما يشعرون عطف على أموات فهو بمثابة الجزء الثاني لـ «هم» المقدرة أو خبر ثالث للذين وأيان ظرف ليبعثون فهو متعلق به واختلف في ضمير يبعثون فقيل هو للاصنام والمعنى وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء وفي ذلك من التهكم ما فيه وهذا أرجح ما قيل فيه ولهذا اقتصرنا عليه واجتزأنا به . (إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) إلهكم مبتدأ وإله خبر وواحد صفة والفاء الفصيحة والذين مبتدأ وجملة لا يؤمنون بالآخرة صلة وقلوبهم مبتدأ ومنكرة خبر لقلوبهم والجملة الاسمية خبر الذين وهم الواو حالية وهم مبتدأ ومستكبرون خبر والجملة في محل نصب على

الحال • (لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) لا جرم تقدم القول فيه في سورة هود ونضيف هنا ان لا نافية وجرم بمعنى بد وهذا بحسب الاصل أما هنا فقد ركبت لا مع جرم تركيب خمسة عشر وجعلا بمعنى فعل معناه حق وثبت وأن وما في حيزها فاعله وجملة يعلم خبر أن وجملة يسرون صلة وما يعلنون عطف على ما يسرون • (إنه لا يحب المستكبرين) ان واسمها وجملة لا يحب خبرها والمستكبرين مفعول يحب •

الفوائد :

(ايان) : اسم شرط للزمان يجزم فعلين ملحقاً بما أو غير ملحق بها ، كقول الشاعر :

أيان نؤمنك تأمن غيرنا وإذا   لم تدرك الأمن منا لم تزل حذرا

وقول الآخر وقد ألحقها ما الزائدة للتوكيد :

إذا النعجة الأدماء باتت بقفره   فأيان ما تعدل به الريح تنزل

وتكون اسم استفهام عن الزمان مثل متى وأصلها « أي آن » فهي مركبة من أي المتضمنة معنى الشرط وآن بمعنى حين فصارتا بعد التركيب اسماً للشرط أو للاستفهام مبنياً على الفتح في محل نصب على الظرفية الزمانية •

وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم

بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

اللغــة :

(أساطير) : جمع أسطورة كأحاديث وأضاحيك وأعاجيب جمع أحدوثة وأضحوكة وأعجوبة وفي القاموس والتاج : الإسطار والأسطار والأسطور والأسطير وأيضاً كلها بالهـاء ما يكتب والجمـع أساطير والحديث الذي لا أصل له .

(أوزارهم) جمع وزر وهو الذنب .

الاعراب :

(وإذا قيل لهم : ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) إذا ظرف لمايستقبل من الزمن وجملة قيل لهم مضاف إليها الظرف وجملة ماذا أنزل ربكم نائب فاعل لقيل والكلام مستأنف مسوق للشروع في ذكر نماذج من مثالب المشركين ، وماذا : تقدم انه يجوز فيها وجهان فإما أن تكون كلها اسم استفهام في محل نصب مفعول مقـدم لأنزل وإما أن تكون ما وحدها اسم استفهام وذا اسم موصول في محل رفع خبر ، وأنزل ربكم فعل وفاعل وجملة قالوا لا محل لها وأساطير الأولين خبر لمبتدأ محـذوف أي هي أساطير الأولين أو المنزل أساطير الأولين وفي تقديره المنزل بلاغة زائدة لأنه يكون تهكماً أي على فرض أنه منزل فهو أساطير لا طائل تحتها • (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام للتعليل ويحملوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والواو فاعل وأوزارهم مفعول به وكاملة حال ويوم القيامة ظرف متعلق بيحملوا ولك أن تجعل اللام للعاقبة وعلى كل حال هي متعلقة بقوله قالوا أساطير الأولين فإما أن يكون المعنى أنهـم جنوا على أنفسهم بأيديهـم وقالوا مايسبب لهم حمـل الأوزار أو أنهم فعلوا ذلك جاهلين غافلـين فكانت عاقبتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم يعني ذنوب أنفسهم التي اجترحوها سيأتي سر قوله « كاملة » في باب البلاغة • (ومن أوزار الذين يضلونهم بغـير علم ألا ساء ما يزرون) ومن أوزار عطف عـلى أوازرهم فالجار والمجرور متعلقان بيحملوا ومن للتبعيض أي وبعض أوزار من يضل بضلالهم وهذا ما ذهبت إليه طائفة من المفسرين على رأسهم الزمخشري والبيضاوي والجلال وقالا لواحدي : « ولفظ من في قولـه « ومن أوزار الذين يضلونهم » ليست للتبعيض لأنها لو كانت للتبعيض لنقص

عن الاتباع بعض الأوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام : «لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » لكنها للجنس أي ليحملوا من جنس أوزار الكفار » وهو كلام جميـــل أيضاً وجملة يضلونهم صلة الذين وبغير علم حال من المفعول به أي يضلون من لا يعلم انهم ضلال ويجوز أن تكون من الفاعل المسند إليه الإضلال والمعنى أنهم يقدمون عـــلى الاضلال جهلاً منهم بما يترتب عليهم من العذاب الشديد • وألا أداة تنبيه وساء فعل ماض لانشاء الـــذم وما تمييز أي شيئاً أو فاعل ساء وجملة يزرون صفة لما على الاول أو صلة لها على الثاني وعلى كل حال المخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم • (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد) جملة مستأنفة مسوقة لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما كابده من تعنتهم ومكرهم وقد حرف تحقيق ومكر الذين فعل وفاعـــل ومن قبلهم صلة الذين فأتى الله بنيانهم عطف على ما تقدم وهو فعل وفاعل ومفعول به ومن القواعد حال أو جار ومجرور متعلقان بأتى • (فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون)الفاء عاطفة وخر فعل ماض وعليهم جار ومجرور متعلقان بخر والسقف فاعل ومن فوقهم حال وأتاهم العذاب فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعـــل مؤخر ومن حيث متعلقان بأتاهم وجملة لا يشعرون مضافة إلى الظرف • (ثم يوم القيامـــة يخزيهم) ثم حرف عطف ويوم ظرف متعلق بيخزيهم والقيامة مضاف اليه ويخزيهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به • (ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقّون فيهم) أين اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف خبر مقدم وشركائي مبتدأ مؤخر والذين صفة لشركائي وجملة كنتم صلة وجملة تشاقون خبر كنتم وفيهم متعلقان بتشاقون • (قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين) قال الذين فعل

وفاعل وجملة أوتوا صلة والواو نائب فاعل والعلم مفعول به ثان وإن واسمها واليوم ظرف متعلق بالخزي لأنه مصدر يعمل عمل الفعل والسوء عطف على الخزي وعلى الكافرين خبر إن • (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الذين نعت للكافرين أو بدل منه وجملة تتوفاهم الملائكة صلة والجملة فعل ومفعول به وفاعل وظالمي أنفسهم حال من مفعول تتوفاهم وأنفسهم مضاف اليه وتتوفاهم مضارع بمعنى الماضي • (فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء) يجوز أن تكون الفاء عاطفة وألقوا معطوف على توفاهم لأنه بمعنى توفتهم ويجوز أن يكون ألقوا معطوفاً على قال الذين أوتوا العلم ويجوز أن تكون للاستئناف ، وألقوا فعل وفاعل والسلم مفعول به ، والسلم المسالمة والاخبات وجملة ماكنا مقول لقول محذوف أي قائلين وما نافية وكنا كان واسمها وجملة نعمل خبر كنا ومن زائدة وسوء مجرور لفظاً منصوب محلاً على انه مفعول به • (بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون) بلى حرف جواب وان واسمها وخبرها وبما متعلقان بعليم وجملة كنتم تعملون صلة ما وجملة تعملون خبر كنتم • (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) الفاء الفصيحة وادخلوا فعل أمر وفاعل وأبواب مفعول به على السعة وجهنم مضاف اليه وخالدين حال من فاعل ادخلوا وفيها متعلقان بخالدين والفاء استئنافية واللام للابتداء وبئس فعل ماض لانشاء الذم ومثوى المتكبرين فاعل والمخصوص بالذم محذوف أي هي •

البلاغة :

١ ــ في قوله تعالى : « قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم » استعارة تمثيلية فقد شبه حال

جميع الماكرين المبطلين المدبرين للمكايد والمؤامرات والذين يحاولون إيقاع الضرر والمكر بالمؤمنين ونصب الشباك لهم بحال قوم بنوا بنياناً شامخاً ودعموه بأساطين البناء وقواعده فطاح البنيان من الأساطين نفسها بأن وهنت ولم تقو على إمساك ما أقيم عليها فتهدم السقف وهوى عليها .

هذا وقد ذكر علماء البلاغة ان للتمثيل مظهرين أحدهما أن يظهر المعنى ابتداء في صورة التمثيل وثانيهما ما يجيء في أعقاب المعاني لإيضاحها وتقريرها في النفوس وهو على الحالين يكسو المعاني أبهة ويرفع من أقدارها ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعوة القلوب اليها . تأمل قول أبي الطيب :

ومن يك ذا فم مرٍ مريض يجد مراً به الماء الزلالا

لو كان عبر عن المعنى بقوله مثلاً : ان الجاهل لفاسد الطبع يتصور المعنى بغير صورته ويخيل اليه في الصواب انه خطأ فهل كنت تجد هذه الروعة ؟ وهل كان يبلغ من التهجين للجاهل والكشف عن نقصه ما بلغ التمثيل في البيت ؟ ومهما بالغت في تصوير المؤامرات المبطلة يدبرها المبطلون ، ويحوكونها من خلف ستار حتى إذا خيل لهم انها قد أحكمت واستطاعت أن توقع الخصوم في شراكها إذا بها تحبط فجأة فهل يبلغ ذلك من نفسك مبلغ مشهد البناء وقد تطاول وتسامق وتشامخ وأحكمه بانيه إحكاماً خيل اليه معه أنه ضمن له الخلود فما عتم أن تزلزلت منه أواخيه وصياصيه وانهار بمن وعلى من فيه وفيما يلي طائفة من أبيات التمثيل لتقيس عليها :

قال ابن لنكك يهجو قوماً حسنت مناظرهم وقبحت مخابرهم .

في شجر السرو منهم مثـل لـه رواء وما له ثمـر

وقال ابن الرومي في المعنى نفسه :

فغـدا كالخلاف يورق للعيـ ـن ويأبى الإثمار كل الإباء

وتأمل كذلك قول أبي تمام :

وإذا أراد الله نشـر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

مقطوعاً عن البيت الذي يليه برغم أن البيت واضح المعنى ثم اتبعه بالبيت التالي :

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وانظر هل نشر المعنى تمام حلته وأظهر المكنون من حليته وزينته واستحق التقديم كله إلا بالبيت الأخير ، وما فيه من التمثيل والتصوير. وسيأتي من روائع التمثيل في كتابنا ما يذهل الألباب .

عودة إلى الآية :

والآية التي نحن بصددها من أرقى ما يصل اليه التمثيـل وهي خالدة لا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة فالبناء كان ولا يزال يمثل القوة والجدّة والثراء ، وتداعيه وتطوحه يمثل قديماً وحديثاً زوال ذلك كله وفناءه ذلك لأن الاستعارة التمثيلية أساسها التشبيه فـلا عجب أن تختلف فيها الأذواق باختلاف الأزمنة كما اختلفت في تقدير التشبيه وها نحن أولاء اليوم لا نستسيغ كثـيراً من الاستعارات التي أوحت بها البيئة

الماضية والتي تبقى رواسم جامدة يبهرنا لفظهـا أكثر مما يوضحه في نفوسنا معناها أما الاستعارة التي تتجاوز ظروف الزمان والمكان وتضمن لها الجدّة الباقية بقاء الـدهر فهي الاستعارة التي تحقق غرض القائل وتكون فيها الصورة المشبهـة بها واضحة معروفة تصور ما تريد أن تصوره بوضوح وتأثير وإيجاز وتضاف اليها روافد كهذه الآية عندما قال « فخر عليهم السقف من فوقهم » فقد أكد التمثيل بقوله من فوقهم لأن السقف لا يخر إلا من فوق لأنه أشعر بخروره فوقهم أنهم تحته فأزال احتمال أن يكونوا غير موجودين تحته وأكد إبطال مؤامراتهم بموتهم متأثرين بما نصبوه للآخرين عـلى حد قول المثل : « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها » •

٢ ـ الاحتراس :

في قوله تعالى « فخر عليهم السقف من فوقهـم » فإن لقائل أن يقول : السقف لا يكون إلا من فوق فما معنى ذكر من فوقهم والجواب انه احتراس من احتمال أن السقف قد يكون ارضاً بالنسبة لغيرهم، فإن كثيراً من السقوف يكون أرضاً لقوم وسقفاً لقوم آخرين فرفع الله تعالى هذا الاحتمال بجملتين وهما قوله « عليهم » وقوله « خر » لأنها لا تستعمل إلا فيما يهبط أو يسقط من العلو إلى السفل •

هذا وقد ساق بعض النقاد بيتاً في شواهد العيوب وهو :

زياد بن عين عينه تحت حاجبه وبيض الثنايا تحت خضرة شاربه

فقال : وجه العيب فيه كون العين لا تكون إلا تحت الحاجب •

والثنايا تحت الشارب ، وقيل في الرد على هذا العائب : ان الشاعر أراد أن هذا الممدوح خلق في أحسن تقويم وولـد كذلك ولم يولد مشوه الخلق ولا معيب الصورة ولم يطرأ عليـه وهو جنين ما ينقص خلقـه أو يشوهه .

وقال ابن الاعرابي : « وإنما قال : من فوقهم ليعلمك انهم كانوا حالين تحته والعرب تقول:خر علينا سقف ووقع علينا حائط إذا كان يملكه وإن لم يكن وقع عليه فجاء بقوله : من فوقهم ليخرج هذا الشك الذي في كلام العرب » وهو كلام لا بأس به .

* وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ۙ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

الاعراب :

﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ﴾ وقيل للذين قيل فعل ماض مبني للمجهول واختلف في ضميره وأقرب الاقوال انهم وفود العرب الذين كانت تبعثهم القبائل الى مكة وللذين متعلقان بقيل وجملة اتقوا صلة وماذا تقدم القول فيها كثيراً وأنزل ربكم فعل وفاعل وخيراً مفعول لفعل محذوف أي أنزل خيراً وعبارة الزمخشري « فإن قلت لم رفع الأول ونصب هذا قلت فرقاً بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بيناً مكشوفاً مفعولاً للانزال فقالوا : خيراً أي أنزل خيراً وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين وليس من الانزال في شيء » . ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ﴾ للذين خبر مقدم وجملة أحسنوا صلة وفي هذه متعلقان بأحسنوا والدنيا بدل وحسنة مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة ويجوز أن تكون مفسرة لقوله « خيراً » ولدار الآخرة اللام للابتداء ودار الآخرة مبتدأ وخير خبر ولنعم دار المتقين اللام للابتداء ايضا ونعم فعل ماض لإنشاء المدح ودار المتقين فاعل والمخصوص بالمدح محذوف أي هي ﴿ جنات عدن يدخلونها ﴾ جنات خبر لمبتدأ محذوف ويجوز أن تكون هي المخصوص بالمدح فتعرب مبتدأ خبره جملة نعم دار المتقين أو خبراً لمبتدأ محذوف والأول أرجح وأقل تكلفاً وجملة يدخلونها حالية . ﴿ تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون ﴾ جملة تجري من تحتهم الأنهار حال أيضاً ولهم خبر مقدم وفيها حال وما مبتدأ مؤخر وجملة يشاءون صلة وجملة لهم فيها حال ثالثة . ﴿ كذلك يجزي الله المتقين ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف ويجوز أن تعرب حالاً وقد تقدم تقرير ذلك كثيراً ويجزي الله المتقين فعل وفاعل ومفعول به . ﴿ الذين تتوفاهم

الملائكة طيبين) الذين نعت للمتقين أو بدل منه وجملة تتوفاهـم صلة والهاء مفعول به والملائكة فاعل وطيبين حال من المفعول في تتوفاهم أي طاهرين من الشوائب • (يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) جملة يقولون حـال من الملائكة مقارنة أو مقـدرة وسيأتي تعريفهما في باب الفوائد وسلام مبتدأ وعليكم خبر وادخلوا الجنة فعل أمر وفاعل ومفعول به وبما متعلقان بادخلوا وجملة كنتم سلة وجملة تعملون خبر كنتـم ويجوز أن تكون ما مصدرية والاعراب واحـد • (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكـة أو يأتي أمر ربك) هـل حرف استفهام ومعناه النفي وينظرون فعل مضارع وفاعل وإلا أداة حصر وأن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول ينظرون وأو حرف عطف ويأتي أمر ربك عطف على تأتيهم الملائكة أي العذاب • (كذلك فعـل الذين من قبلهم) تقدم إعراب كذلك قريباً فجدد به عهداً وفعل الذين فعل وفاعل ومن قبلهم صلة الموصول• (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الواو عاطفة وما نافية وظلمهم الله فعل ومفعول به وفاعل والواو حالية أو اعتراضية ولكن مخففـة مهملة وكان واسمها وجملة يظلمون خبرها وأنفسهم مفعول مقدم لقوله يظلمون • (فأصابهم سيئات ما عملوا) الفاء عاطفة وأصابهم فعل ومفعول به مقدم وسيئات فاعل وما موصولة أو مصدرية وهي على كل مضافة لسيئات • (وحـاق بهم ما كانوا به يستهزئون) الواو عاطفة وبهم متعلقان بحاق وما فاعل وجملة كانوا صلة وبه متعلقان بيستهزئون وجملة يستهزئون خبر كانوا •

الفوائـد :

الحال بالنسبة للزمان :

للحال بالنسبة للزمان ثلاثة أقسام :

١ ــ مقارنة وهي الغالبة نحو : « هذا بعلي شيخاً » .

٢ ــ مقدرة وهي المستقبلة نحو : « ادخلوها خالدين » .

٣ ــ ومحكية وهي الماضية نحو : جاء زيد أمس راكباً .

وفي الآية التي نحن بصددها وهي « يقولون سلام عليكم » يجوز أن تكون مقارنة إن كان القول واقعاً منهم في الدنيا وأن تكون مقدرة إن كان القول واقعاً منهم في الآخرة .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (٣٥) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٣٦)

الاعراب :

(وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) الواو استئنافية والجملة مستأنفة لتقرير مغالطتهم وقولهم كلمة حق أريد بها باطل واحتجاجهم على الله تعالى بمشيئته التي لا حجة

لهم فيها مع ما خلق لها من اختيار النجدين وسلوك أحد الطريقين • وقال الذين فعل وفاعل وجملة أشركوا صلة ولو امتناعية شرطية وشاء الله فعل وفاعل والمفعول محذوف أي لو شاء خلاف طريقتنا وما يصدر عنا وسيأتي مزيد بحث عن حذف المفعول به في باب البلاغة وما نافية وعبدنا فعل وفاعل ومن دونه حال ومن زائدة وشيء مجرور لفظاً مفعول عبدنا محلاً ونحن تأكيد لفاعل عبدنا والمعنى ما عبدنا شيئاً حال كونه دونه ولا الواو عاطفة ولا نافية وآباؤنا عطف على نحن • (ولا حرّمنا من دونه من شيء) الواو عاطفة وحرمنا فعل وفاعل ومن دونه حال من شيء ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً مفعول به منصوب محلاً • (كذلك فعل الذين من قبلهم) كذلك نعت لمصدر محذوف مفعول مطلق وفعل الذين فعل وفاعل ومن قبلهم صلة • (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) الفاء عاطفة وهل حرف استفهام معناه النفي وعلى الرسل خبر مقدم وإلا أداة حصر والبلاغ مبتدأ مؤخر والمبين صفته • (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وبعثنا فعل وفاعل وفي كل أمة متعلقان ببعثنا ورسولاً مفعول به • (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) أن يجوز أن تكون مصدرية وهي مع مدخولها نصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان ببعثنا ويجوز أن تكون مفسرة لأن البعث فيه معنى القول واعبدوا فعل أمر وفاعل ولفظ الجلالة مفعول به واجتنبوا الطاغوت فعل أمر وفاعل ومفعول به •

(فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) الفاء تفريعية استئنافية ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وهي نكرة موصوفة وجملة هدى الله صفة لمن ومنهم من حقت عليه الضلالة عطف على سابقتها وهي مثلها في الإعراب • (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان

عاقبة المكذبين) الفاء الفصيحة أي إن أردتم الاهتداء والاستدلال على الطريق المثلى فسيروا وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بسيروا فانظروا الفاء عاطفة وانظروا فعل أمر وفاعل وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وعاقبة المكذبين اسمها المؤخر .

البلاغـة :

إيجاز الحذف :

الحذف للايجاز فقد حـذف مفعول شاء في قوله « لو شاء الله ما عبدنا من دونه » أي لو شاء هدايتنا ، ولحذف المفعول به لطائف هي أكثر من أن تذكر ، ذلك أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية فتارة يذكرونها ويريدون أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين وعندئذ يكون الفعل المتعدي كغير المتعدي ومثال ذلك قول الناس : فلان يحل ويعقد، ويأمر وينهى ، ويضر وينفـع ، والقسم الثاني أن يكون للفعـل مفعول مقصود إلا أنه يحذف من اللفظ لدليل يدل عليه وقد يكون ذلك جلياً لا صنعة فيه كقولهم : « أصغيت اليه » أي بأذني، والخفي منه ما تدخله الصنعة ، فمن الخفي أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص إلا أنك تنساه وتخفيه عن نفسك وتوهم أنك إنما تذكر الفعـل لتثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى مفعول كقول البحتري :

شجو حساده وغيظ عـداه أن يرى مبصر ويسمع واع

المعنى أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واع أخباره ، ومن الخفي

أيضاً أن يكون معك مفعول معلوم مقصود قد علم انه ليس للفعل الذي ذكرت مفعول سواه بدليل الحال أو ما سبق من الكلام إلا أنك تطرحه وتتناساه لكي تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل وتخلص له وتنصرف بجملتها اليه ، قال طفيل الغنوي في بني جعفر بن كلاب :

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت   بنا نعلنا في الواطئين فزلت

أبو أن يملونا ولو أن أمّنا   تلاقي الذي يلقون منا لملّت

هم خلطونا بالنفوس وألجئوا   إلى حجرات أدفأت وأظلت

حذف المفعول في أربعة مواضع هي « لملت » و « ألجئوا » و « أدفأت » و « أظلت » لأن الأصل لملتنا وألجئونا الى حجرات أدفأتنا وأظلتنا وقول الشاعر « ولو أن أمنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت» يتضمن أن ما لاقوه منا قد بلغ من القوة الى أن يجعل كل أم تملّ وتسأم وان المشقّة بلغت من ذلك حداً يجعل الأم له تمل الابن وتتبرم به مع ما في طباع الأمهات من الصبر على المكاره في مصالح الأولاد وذلك انه وإن قال « أمنا » فإن المعنى على أن ذلك حكم كل أم مع أولادها ولو قال لملتنا لم يصلح لأنه يراد به معنى العموم وان بحيث يملّ كل أم من كل ابن ، ومن ذلك حذف المفعول بعد فعل المشيئة كقوله :

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم   كرماً ولم تهدم مآثر خالد

والاصل : لو شئت أن تفسد سماحة حاتم لم تفسدها ثم حذف ذلك من الأول استغناء بدلالة في الثاني عليه ثم هو على ما تراه من الحسن والغرابة لأن الواجب في حكم البلاغة أن لا ينطق بالمحذوف

فليس يخفى أنك لو رجعت إلى الأصل لصرت إلى كلام غث وإلى شيء يمجه السمع وتعافه النفس •

ويعلل عبد القاهر الجرجاني لجمال حذف المفعول بعد فعل المشيئة بأن في البيان بعد الابهام وبعد تحريك النفس الى معرفته لطفاً ونبلاً لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرك فأنت إذا قلت لو شئت علم السامع انك قد علقت هذه المشيئة في المعنى بشيء فهو يضع في نفسه أن هاهنا شيئاً تقتضيه المشيئة فاذا قلت لم تفسد سماحة حاتم عرف ذلك الشيء •

إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

الاعراب :

(إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل) إن شرطية

وتحرص فعل الشرط وعلى هداهم متعلقان بتحرص أي ترغب فيه ، فإن الفاء رابطة لجواب الشرط وان واسمها وجملة لا يهدي خبرها ومن اسم موصول مفعول به وجملة يضل صلة وقيل جواب الشرط محذوف وجملة فإن الله لا يهدي تعليل للجواب والتقدير لا تقدر أنت ولا يقدر أحد على هدايتهم • (وما لهم من ناصرين) الواو عاطفة وما نافية حجازية ولهم خبر ما مقدم ومن حرف جر زائد وناصرين اسم ما محلاً أو مبتدأ مؤخر ومجرور لفظاً • (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) وأقسموا فعل وفاعل وبالله جار ومجرور متعلقان بأقسموا وجهد أيمانهم نصب على المصدرية وقيل مصدر في موضع الحال أي جاهدين والجملة عطف على وقال الذين أشركوا أو استئنافية إخبارية • (لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً) لا نافية ويبعث الله من يموت فعل وفاعل ومفعول والجملة لامحل لها لأنها جواب القسم وسمي الحلف قسماً لأنه يكون عند انقسام الناس الى مصدق ومكذب وبلى حرف جواب أي بلى يبعثهم لأنه إثبات لما بعد النفي ووعداً عليه حقاً مصدران مؤكدان لما دل عليه بلى وقيل حقاً صفة لوعداً وكذا عليه، وعليه متعلقان بحقاً • (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الجملة حالية ولكن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها • (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) اللام للتعليل ويبين فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بما دل عليه بلى أي يبعثهم ليبين ولهم متعلقان بيبين والذي مفعول به وجملة يختلفون صلة وفيه متعلقان بيختلفون • (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) وليعلم عطف على ليبين والذين فاعل وجملة كفروا صلة وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلم وان واسمها وجملة كانوا خبرها وكاذبين خبر كانوا • (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) إنما كافة ومكفوفة وقولنا مبتدأ ولشيء جار ومجرور متعلقان بقولنا وإذا ظرف متعلق بقولنا وجملة أردناه مضافة للظرف

وأن ومدخولها مصدر مؤول خبر قولنا وله متعلقان بنقول وكن فعل أمر من كان التامــة وجملة كن مقول القول ، فيكون : الفاء عاطفــة ويكون معطوف على مقدر تفصح منه الفاء وينسحب عليه الكلام أي فنقول له ذلك فيكون ، واما جواب لشرط محذوف فتكون فصيحة أي فإذا قلنا ذلك فهو يكون وسيأتي مزيد بحث عن هذا القول والمقول والأمر والمأمور في باب البلاغة والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير القدرة على البعث أو كيفية التكوين على الإطـلاق إبداء وإعادة • (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) والذين مبتدأ وجملة هاجروا صلة أي انتقلوا من مكــة الى المدينة ، ومنهم من هاجر الى الحبشة فجمــع بين الهجرتين وفي الله متعلقان بهاجروا وفي للتعليل أي لإقامة دين الله ومن بعد حال وما مصدرية مؤولة مع مدخولهــا بمصدر مضاف الى بعد ، أي من بعد ظلمهم بالأذى من أهل مكة • (لنبوئنهم في الدنيا حسنة) اللام موطئة للقسم وجملة نبوئنهم خبر الذين وفي الدنيا حال وحسنة صفة لمصدر محذوف أي تبوئة حسنة فهي نائب مفعول مطلق ولك أن تعربها مفعولاً ثانياً لنبوئنهــم لتضمن معنــاه نعطينهم فتكون صفة لمحذوف أي داراً حسنة (ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) الواو حالية واللام للابتداء وأجر الآخرة مبتدأ وأكبر خبر ولو شرطية وكان واسمها وخبرها • (الذين صبروا وعلى ربهــم يتوكلون) الذين خبر لمبتدأ محذوف أي هم الذين صبروا فمحله الرفع أو منصوب على المدح أي أعني الذين صبروا فمحله النصب وجملة صبروا صلة وعلى ربهم جار ومجرور متعلقان بيتوكلون ويتوكلون فعل مضارع وفاعل •

البلاغــة :

١ ـ إنمــــا :

« إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » عقد الامام

عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الاعجاز فصلاً ممتعاً عن إنما ننقل خلاصته ، فقد وقف يستلهم معاني « إنما » ويرى أن الوقوف فيها عند قول النحاة : انه ليس في انضمام « ما » إلى « ان » فائدة أكثر من أنها تبطل عملها خطأ بيّن ، وأصل انما أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا ينكر صحته أو لما ينزل هذه المنزلة فمن الاول قوله تعالى« انما يستجيب الذين يسمعون» فكل عاقل يعلم انه لا تكون استجابة إلا ممن يعقل ما يقال له ويدعى اليه ومثال ما ينزل هذه المنزلة قول ابن الرقيات :

انما مصعبٌ شهاب من اللـــه تجلّت عن وجهه الظلماء

وتفيد انما في الكلام الذي بعدها ايجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره وتجعل الأمر ظاهراً فإذا قلت إنما جاءني زيد عقل منه أنك أردت أن يكون الجائي غيره فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك : جاءني زيدٌ لا عمرو إلا أن لها مزية وهي انك تعقل معها ايجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة وتجعل الأمر ظاهراً في أن الجائي زيد .

٢ ـ الاستعارة التمثيلية : في قوله « كن فيكونُ » فهي استعارة للكينونة تمثل سرعة الإيجاد عند تعلق الارادة وليس هناك أمر حقيقة ولا كاف ولا نون وإلا لو كان هناك أمر لتوجه أن يقال إن كان الخطاب للشيء حال عدمه فلا يعقل لأن خطاب المعدوم لا يعقل وإن كان بعد وجوده ففيه تحصيل الحاصل وإنما القصد منه تصوير سرعة الحدوث بما لا يتجاوز أمده النطق بلفظ كن وما أسهلها .

٣ ـ الاخبار عن الماضي بالمستقبل أبلغ من الاخبار بالفعل الماضي وذلك في قوله تعالى « وعلى ربهم يتوكلون » فالظاهر أن المعنى على

المضي والتعبير بالمضارع لاستحضار تلك الصورة البديعة حتى كأن السامع يشاهدها وقد تقدم بحثه .

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

اللغـــة :

(الزبر) : الكتب جمع زبور بمعنى مزبور .

(تخوف) : تنقص وهو من قولك تخوفته وتخونته إذا تنقصته قال زهير بن أبي سلمى — وقيل هو لأبي كبير الهذلي — :

تخوف الرحل منها تامكاً قرداً كما تخوف عود النبعة السفن

والمعنى يأخذهم عـلى أن ينتقصهم شيئاً بعـد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا وعن عمر بن الخطاب أنه سأل عن معنى التخوف

في قوله تعالى « أو يأخذهم على تخوف » فيقوم له رجل من هذيل ويقول : هذه لغتنا التخوف التنقص قال عمر : فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال : نعم وأنشد البيت الآنف فقال عمر : عليكم بديوانكم لا يضل ، قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم .

الصحابة والغريب في القرآن :

بدأت مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم تترسّم خطاه في التفسير وتحفظ ما نقل عنه وترويه وقد تتزيد فيه بشرح لفظ غريب وعلى الرغم من هذا لا نعدم بعض الغريب في آيات الكتاب توقفوا عنده من ذلك ما أخرجه أبو عبيدة في الفضائل عن ابراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى : « وفاكهة وأبّا » فقال : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله مالا أعلم ؟ ونقل عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر « وفاكهة وأبّاً » فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبّ ؟ ثم رجع الى نفسه فقال : إن هذا لهو الكلف يا عمر، وقد انقسم الصحابة في صدر الاسلام الى قسمين : متحرج من القول في القرآن ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعبد الله بن عمر وكان عبد الله يأخذ على عبد الله بن عباس تفسيره القرآن بالشعر ، والقسم الثاني الذين لم يتحرجوا وفسروا القرآن حسب ما فهموا من الرسول أو حسب فهمهم الخاص بالمقارنة الى الشعر العربي وكلام العرب ومن هؤلاء علي ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس ومن أخذ عنهما وقد وقف ابن عباس على رأس المفسرين بالرأي المتخذين شعر العرب وسيلة الى كشف معاني القرآن وكان علي بن أبي طالب يثني على عبد الله بن عباس ويقول :

كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق ومن هؤلاء أيضاً ابن مسعود وأبي ابن كعب وغيرهما وتبعهم الحسن البصري ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم ويقول أحمد أمين في كتابه الممتع فجر الاسلام ما خلاصته ان هؤلاء المفسرين من الصحابة والتابعين كانوا ينهجون منهجاً يتلخص في الاسترشاد بحديث رسول الله وبروح القرآن وبالشعر العربي والأدب الجاهلي بوجه عام ثم عادات العرب في جاهليتها وصدر إسلامها وما قابلهم من أحداث وما لقي رسول الله من عداء ومنازعات وهجرة وحروب

لمحة عن ابن عباس ومدرسته :

وشق ابن عباس طريقه بين هؤلاء جميعاً متزعماً مدرسة خاصة تسلطت على التفسير وطبعته بطابعها وقد أورد السيوطي في « الاتقان » مسائل ابن الأزرق المائة في القرآن وجواب ابن عباس عليها بالشعر مفسراً غريب كل آية ببيت ويقول ابن عباس في تفسير القرآن بالشعر : إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي ويقول : إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب ، وكان إلمام ابن عباس واسعاً بلغة القرآن ومعانيه حتى انه قال : كل القرآن أعلم إلا أربعاً : غسلين وحنانا والأواه والرقيم . وقد بدأت بمحاولات ابن عباس مدرسة جديدة في التفسير تكشف عن أسلوب القرآن ومعانيه بمقارنته بالأدب العربي شعره ونثره ومهدت هذه المدرسة لقيام حركة واسعة لجمع اللغة والشعر من مضارب الخيام وبوادي العرب ليواجهوا مافي القرآن من الغريب الذي ابتعدت به الشقة عن الحجاز وقلب الجزيرة العربية في العراق وفارس والشام

وغيرها من الأمصار الاسلامية وتلقط العلماء ما كانت تجود به ألسنة الأعراب من أمثلة توافق ما يجري في آيات القرآن وكانت هذه الحركة الكبرى سبباً في حفظ العربية من الضياع •

الاعراب :

(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم) الواو عاطفة ليتناسق الكلام يورد ناحية أخرى من نواحي تعنتهم وإصرارهم على القول : ان الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فهلا بعث الينا ملكاً ، ولك أن تجعلها استئنافية قائمة بنفسها والجملة مسوقة لما ذكرناه ، وما نافية وأرسلنا فعل وفاعل ومن قبلك حال وإلا أداة حصر ورجالاً مفعول أرسلنا وجملة نوحي اليهم صفة • (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) الفاء الفصيحة أي إن شككتم فيما ذكر فاسألوا ، واسألوا فعل أمر وفاعل وأهل الذكر مفعوله وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف دل عليه فاسألوا وكان واسمها وجملة لا تعلمون خبرها • (بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس) بالبينات يحتمل متعلقات شتى فإما أن يتعلقا بأرسلنا داخلاً تحت حكم الاستثناء مع رجالاً أي وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات ومثل له الزمخشري بقول القائل : ما ضربت إلا زيداً بالسوط لأن أصله ضربت زيداً بالسوط وإما متعلقان بمحذوف صفة لرجالاً أي رجالاً ملتبسين بالبينات أي مصاحبين لها وإما بأرسلنا مضمراً كأنما قيل بم أرسلوا فقيل بالبينات وإما بنوحي أي نوحي اليهم بالبينات وهناك أوجه أخرى ضربنا عنها صفحاً ، وأنزلنا عطف على أرسلنا وإليك متعلقان بأنزلنا والذكر مفعول به ولتبين اللام للتعليل وتبين منصوب

بأن مضمرة وهو متعلق بأنزلنا وللناس جار ومجرور متعلقان بتبين . (ما نُزّل اليهم ولعلهم يتفكرون) ما مفعول تبين وجملة نزل اليهم صلة ولعلهم لعل واسمها وجملة يتفكرون خبرها . (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والفاء عاطفة على محذوف ـ كما تقدم ـ يرشد اليه النظم أي أنزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه ولم يتفكروا في ذلك فكأنه قيل ألم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات ؟ وأمن الذين فعل وفاعل وجملة مكروا صلة والسيئات صفة لمفعول مطلق محذوف أي المكرات السيئات ويجوز أن يكون مفعولاً به لأمن أي أمنوا العقوبات السيئات أو منصوباً بنزع الخافض أي مكروا بالسيئات وان يخسف أن وما في حيزها مصدر مفعول أمن على الوجه الأول في السيئات وبدل من السيئات على الوجه الثاني والله فاعل يخسف ، وبهم متعلقان بيخسف والأرض مفعول به . (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) عطف على أن يخسف ومن حيث حال وجملة لا يشعرون مضافة للظرف . (أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين) عطف أيضاً على أن يخسف وفي تقلبهم حال من المفعول أي حال كونهم متقلبين في الأسفار والمتاجر وأسباب الدنيا والفاء عاطفة وما نافية حجازية وهم اسمها والباء حرف جر زائد ومعجزين مجرور بالباء لفظاً منصوب محلاً على انه خبر ما . (أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم) عطف ثالث على أن يخسف وعلى تخوف حال أيضاً من الفاعل أو المفعول أي يأخذهم متنقصاً إياهم شيئاً بعد شيء أو وهم متخوفون والفاء تعليل لما تقدم وان واسمها واللام المزحلقة ورؤوف خبر إن الاول ورحيم خبر إن الثاني .

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾

اللغــــة :

(يتفيأ ظلاله) تفيأ الظل تقلب وانتقل من جانب الى آخر والمصدر التفيؤ من فاء يفيء إذا رجع ، وفاء لازم" فإذا أريد تعديته عدي بالهمزة كقوله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله » أو بالتضعيف نحو فيأ اللــه الظل فتفيأ ، وتفيأ مطاوع فيها فهو لازم واختلف في الفيء فقيل هو مطلق الظل سواء كان قبل الزوال أو بعده وهو ينسجم مع الآية وقيل ما كان قبل الزوال فهو ظل فقط وما كان بعده فهو ظل وفيء فالظل أعم وقيل بل يختص الظل بماقبل الزوال والفيء بما بعده فالفيء لا يكون إلا في العشي وهو ما انصرفت عنه الشمس والظل ما يكون بالغداة وهو ما لم تنله . وفي القاموس والتاج وغيرهما : الظل : الفيء والجمع ظلال وأظـلال وظلول وظل الليـل سواده ، يقـال أتانا في ظل الليـل ، قال ذو الرمة :

قـد أسعف النازح المجهـول مسعفه
في ظـل أخضـر يدعو هامـة البوم

وهو استعارة لأن الظل في الحقيقة إنما هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظـل وقال أصحاب العلم : الظل مطلقاً هو الضوء الثاني ومعنى ذلك أن النير إذا ارتفع عن الأفق استضاء الهواء باثبات الشعاع فيه فهذا هو الضوء الأول فإذا حجب هذا الضوء حاجب كان ما وراء ذلك الحاجب ضوءاً ثانياً بالنسبة إلى الضوء الاول لأنه مستفاد منه وهذا الضوء الثاني هو الظل وقد أوحى خيال الظـل الى الشعراء طرائف بديعة فمن ذلك قول المناوي في راقصة :

إذا ما تغنت قلت : سكرى صبابة وإن رقصت قلنا احتكام مـدام
أرتنا خيـال الظل والستر دونهـا فأبدت خيال الشمس وهو غمام

وذكر ابن قتيبة في كتابه(أدب الكاتب)ما نصه::«يذهب الناس إلى أن الظل والفيء واحد وليس كذلك لأن الظـل يكون من أول النهار إلى آخره ، ومعنى الظل الستر والفيء لا يكون إلا بعد الزوال ولا يقال لما كان قبل الزوال فيء وانما سمي فيئاً لأنه ظل فاء من جانب الى جانب أي رجـع من جانب المغرب الى جانب المشرق والفيء الرجوع قال الله تعالى : « حتى تفيء إلى أمر الله » أي ترجع .

(الشمائل) : جمـع شمال أي عن جانبيهما أول النهار وآخره قال العلماء : إذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه إلى القبلة كان

ظلك عن يمينك فإذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فإذا مالت الشمس الى الغروب كان ظلك عن يسارك •

(داخرون) : خاضعون صاغرون •

الاعراب :

(أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجّداً لله وهم داخرون) الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي والواو عاطفة على محذوف مقدر يقتضيه السياق أي ألم ينظروا ولم يروا متوجهين الى ما خلق الله والى ما جار ومجرور متعلقان بيروا ، وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بإلى لأن المراد منها الاعتبار وذلك الاعتبار لا يتأتى إلا بنفس الرؤية التي يكون معها النظر إلى الشيء لتدبره والتبصر فيه والتأمل بمغابه وعواقبه ، وجملة خلق الله صلة ومن شيء حال من ما خلق الله وصح أن تكون مبنية لوصفها مع أن كلمة شيء مبهمة وجملة يتفيأ ظلاله صفة لشيء وظلاله فاعل يتفيأ وعن اليمين حال وعن الشمائل عطف ويصح أن تكون « عن » اسماً بمعنى جانب فعلى هذا تنتصب على الظرف ويصح أن تتعلق بتتفيأ ومعناه المجاوزة أي تتجاوز الظلال عن اليمين الى الشمال ، بقي هنا سؤال وهو لماذا أفرد اليمين وجمع الشمال وأجاب العلماء بأجوبة عديدة أقربها الى المنطق أن الابتداء يقع من اليمين وهو شيء واحد فلذلك وحد اليمين ثم ينتقص شيئاً فشيئاً وحالاً بعد حال فهو بمعنى الجمع فصدق على كل حال لفظ الشمائل فتعدد بتعدد الحالات ، وللفراء رأي طريف قال : كأنه إذا وحّد ذهب الى واحد من ذوات الظلال وإذا جمع ذهب إلى كلها لأن قوله « ما خلق الله من شيء » لفظه واحد ومعناه الجمع ،

فعبر عن أحدهما بلفظ الواحد كقوله تعالى « وجعل الظلمات والنور »
وقال ابن الصائغ : « أفرد وجمع بالنظر الى الغايتين لأن ظل الغداة
يضمحل حتى لا يبقي منه إلا اليسير فكأنه في جهة واحدة وهو بالعشي
على العكس لاستيلائه على جميع الجهات فلحظت الغايتان في الآية ، هذا
من جهة المعنى وفيه من جهة اللفظ المطابقة لأن سجّداً جمع فطابقه جمع
الشمائل لاتصاله به فحصل في الآية مطابقة اللفظ للمعنى ولحظهما معاً
وتلك الغاية في الإعجاز » . وقيل أفرد اليمين مراعاة للفظ ما وجمع
ثانياً مراعاة لمعناها وقد أفرد السهيلي رسالة لطيفة على هذه الآية .
وسجّداً حال من ظلاله والواو للحال وهم مبتدأ وداخرون خبر والجملة
حالية من الضمير المستتر في سجداً فهي حال متداخلة . (ولله يسجد
مافي السموات ومافي الأرض من دابة والملائكة) لله جار ومجرور
متعلقان بيسجد وما فاعل ليسجد وفي السموات صلة ومافي الأرض
عطف على مافي السموات ومن دابة في موضع نصب على الحال المبنية
والملائكة عطف على ما ، وخصهم بالذكر بعد العموم تنويهاً بفضلهم .
(وهم لا يستكبرون) الواو عاطفة وهم مبتدأ وجملة لا يستكبرون
خبر . (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) جملة يخافون
نصب على الحال من ضمير يستكبرون أو بدل من جملة لا يستكبرون
لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويخافون ربهم فعل مضارع
وفاعل ومفعول به ومن فوقهم حال من ربهم أي يخافون ربهم عالياً عليهم
في الرتبة على حد قوله « وهو القاهر فوق عباده » ويفعلون عطف على
يخافون وما مفعول به وجملة يؤمرون صلة . (وقال الله لا تتخذوا
إلهين اثنين) الواو استئنافية وقال الله فعل وفاعل ولا ناهية وتتخذوا
فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وإلهين مفعول به واثنين صفة
لإلهين ومن طريف المفارقات أن جميع المفسرين تقريباً يعربونها توكيداً

لإلهين وليست اثنين من ألفاظ التوكيد المعنوي وليست من باب التوكيد اللفظي ويظهر أن إعرابهم لها كذلك قائم على المعنى لأن معنى الوصف هو التوكيد وسترى بحثاً طريفاً عن ذلك في باب البلاغة وقد اضطر بعضهم الى القول أن لفظ اثنين تأكيد لما فهم من إلهين من التثنية وقيل : إن في الكلام تقديماً وتأخيراً والتقدير : لا تتخذوا إثنين إلهين. إنما هو إله واحد (إنما هو إله واحد فإياي فارهبون) إنما كافة ومكفوفة وهو مبتدأ وإله خبر وواحد صفة للتأكيد أيضاً ، فإياي : الفاء الفصيحة وإياي مفعول به لفعل مضمر يفسره ما بعده أي بقوله ارهبون ، وارهبون فعل أمر والواو فاعل والنون للوقاية والياء المحذوفة لمراعاة الفواصل مفعوله . (وله مافي السموات والأرض) لك أن تجعل الواو عاطفة والجملة معطوفة على قوله إنما هو إله واحد ولك أن تجعلها استئنافية والجملة مستأنفة وله خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وفي السموات صلة والأرض عطف على مافي السموات . (وله الدين واصباً) الواو عاطفة وله خبر مقدم والدين مبتدأ مؤخر وواصباً حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور والتقدير والدين ثابت له حال كونه واصباً وفي معنى الوصب قولان أحدهما الدوام أي له الدين ثابتاً سرمداً وثانيهما المشقة والكلفة ، أي له الدين ذا كلفة ومشقة . (أفغير الله تتقون) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على محذوف والتقدير أبعد ماتقرر من توحيد الله وبعد ما عرفتم أن كل ما سواه محتاج إليه كيف يعقل أن تتقوا غيره وترهبوا من غيره وغير الله مفعول مقدم لتتقون وتتقون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعله .

البلاغة :

اشتملت هذه الآيات على وجازتها على فنون من البلاغة تستوعب الأجلاد ، وسنحاول تلخيصها في العبارات الآتية :

١ ـ التغليب :

في قوله تعالى « ولله يسجد مافي السموات ومافي الأرض الخ » فقد أتى بلفظ ما الموصولية في قوله مافي السموات ومافي الأرض للتغليب لأن مالا يعقل أكثر ممن يعقل في العدد والحكم للأغلب وما الموصولة في أصل وضعها لما لا يعقل كما أن من موضوعة في الأصل لمن يعقل وقد تتخالفان ، ومن استعمال « من » لغير العاقل في الشعر قول العباس بن الأحنف :

أسرب القطا هل من يعير جناحه

لعلّي الى مَن قد هويت أطير

فأوقع من على سرب القطا وهو غير عاقل وقول امرؤ القيس :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي

وهل يعمن من كان في العصر الخالي

فأوقع من على الطلل وهو غير عاقل .

وفيما يلي ضابط هام نوجزه فيما يلي :

ـ قد تستعمل « من » لغير العقلاء في ثلاث مسائل :

آ ـ أن ينزل غير العاقل منزلة العاقل كقوله تعالى « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة » وقول امرىء القيس السابق .

وكذلك قول العباس بن الأحنف السابق الذكر .

فدعاء الأصنام التي لا تستجيب الدعاء في الآية الكريمة ونداء الطلل والقطا في البيتين سوغا تنزيلها منزلة العاقل إذ لا ينادى إلا العقلاء .

ب ـ أن يندمج غير العاقل مع العاقل في حكم واحد كقوله تعالى: « أفمن يخلق كمن لا يخلق » وقوله « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض » .

حـ ـ أن يقترن غير العاقل بالعاقل في عموم مفصل كقوله تعالى : « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع » فالدابة تعم أصناف من يدب عن وجه الأرض وقد فصلها على ثلاثة أنواع .

ـ وقد تستعمل (ما) للعاقل إذا اقترن العاقل بغير العاقل في حكم واحد كما في الآية المتقدمة .

٢ ـ الاحتراس :

وذلك في قوله تعالى « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد » والمعروف انه لا يجمع بين العدد والمعدود إلا فيما وراء الواحد والاثنين فيقولون عندي رجال ثلاثة ونساء ثلاث لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فلو لم تشفعه بصفته لما فهمت العدد المراد وأما رجل وامرأة ورجلان وامرأتان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال : رجل واحد وامرأة واحدة ورجلان اثنان وامرأتان اثنتان أما في الآية فالاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية وهو إله وإلهان دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فإذا أريد

الدلالة على أن المراد الذي يساق إليه الحديث هو العدد كان لا بد من أن يشفع بما يؤكده ألا ترى أنك لو قلت إله ولم تؤكـده بواحد لم يحسن وخيل إليك أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية فكان لا بـد من الاحتراس وهذا من روائع البلاغة التي تتقطع دونها الأعناق .

٣ ـ الالتفات :

عن الغيبة الى التكلم فقد قال : « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين الخ » ثم عدل الى الحضور وهو قوله « وإياي فارهبون » لأن ذلك أبلغ في الرهبة من أن يقول جرياً على السياق فإياه فارهبون .

وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

اللغــة :

(تجأرون) تتضرعون والجؤار بوزن الزكام رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الأعشى يصف راهباً :

يراوح مـــن صلوات المليــــك طوراً سجوداً وطوراً جؤارا

والمراوحة في العمل الانتقال من حالة الى أخرى ولا يفوتنك مافي هذا الوصف من دقة ، وقبله :

وما آبلي عــلى هيكل بناه وصلب فيه وصارا

والآبلي الراهب نسبة إلى آبل وهو قيم البيعة وصلب أي صور الصليب وفي القاموس : « جأر كمنع جأراً وجؤاراً بوزن غراب رفـع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث والبقرة والثور صاحا والنبت جأراً طال والأرض طال نبتها » •

(ظــل) هنا بمعنى صار وليست على بابها من كونها تدل عــلى الإقامة نهاراً على الصفة المسندة إلى اسمها وعــلى التقديرين هي ناقصة ومصدرها الظلــول ويجوز ابقاؤها عــلى معناها الأصلي وهو اتصاف الشيء بصفة ما نهاراً فقط لأن الأوضاع تتشابه في الليل أي يظل سحابة نهاره مغتماً مربدّ الوجه من الكآبة والحياء من الناس •

(كظيم): مملوء حنقاً على الأنثى وفي المصباح : « كظمت الغيظ كظماً من باب ضرب وكظوماً أمسكت على مافي نفسك منه على صفح أو غيظ وفي التنزيــل « الكاظمين الغيظ » وربما قيــل كظمت على الغيظ وكظمني الغيظ فأنا كظيم ومكظوم وكظم البعير كظوماً لم يجتر » •

(هون) : هوان وذل قال اليزيدي : والهون الهوان بلغة قريش . وكذا حكاه أبو عبيد عن الكسائي وحكى الكسائي انه البلاء والمشقة قالت الخنساء :

نهين النفوس وهون النفو س يوم الكريهة أبقى لها

الاعراب :

(وما بكم من نعمة فمن الله) ما شرطية في محل رفع مبتدأ وفعل الشرط محذوف وبكم متعلقان بفعل الشرط المحذوف ومن نعمة حال من اسم الشرط واختار أبو البقاء أن تكون حالاً من الضمير في الجار والفاء رابطة لجواب الشرط ومن الله خبر لمبتدأ محذوف والتقدير فهو من الله والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط المحذوف والجواب في محل رفع خبر ما ويجوز أن تكون ما موصولة مبتدأ والجار والمجرور صلتها والخبر قوله فمن الله والفاء رابطة لتضمن الموصول معنى الشرط والتقدير والذي استقر بكم وسيأتي مزيد بحث عن حذف فعل الشرط والجواب في باب الفوائد . (ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون) ثم حرف عطف واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب تجأرون وجملة مسكم مضافة للظرف ومسكم فعل ومفعول به مقدم والضر فاعل مؤخر والفاء رابطة واليه متعلقان بتجأرون وتجأرون فعل مضارع وفاعل وجملة فإليه تجأرون لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم . (ثم إذا كشف الضرّ عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون) ثم حرف عطف واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بما في إذا من معنى المفاجأة ولا يجوز أن يكون العامل

في إذا هو الجواب لأنه لا يعمل ما بعد إذا الفجائية فيما قبلها وجملة كشف مضافة والضر مفعول به وعنكم متعلقان بكشف وإذا فجائية لا محل لها وقد تقدم القول فيها وفريق مبتدأ ساغ الابتداء به لأنه وصف بقوله منهم وبربهم جار ومجرور متعلقان يشركون وجملة يشركون خبر فريق ومن العجيب أن أبا البقاء تورط فقاس إذا الفجائية على إذا الشرطية فقال « فريق فاعل لفعل محذوف » وهذا طائح من أساسه • (ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون)ليكفروا اللام لام التعليل ويكفروا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بيشركون أي اشراكهم سببه كفرهم بربهم ويجوز أن تكون اللام لام الصيرورة أو العاقبة أي فعاقبة إشراكهم بالله غيره كفرهم بالنعمة التي هي كشف الضر عنهم فيكون متعلق ليكفروا بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف وبما متعلقان بيكفروا وجملة آتيناهم صلة ، فتمتعوا جملة معمولة لقول محذوف أي قل لهم يا محمد تمتعوا، فسوف تعلمون الفاء الفصيحة وسوف حرف استقبال وتعلمون فعل وفاعل ومفعوله محذوف تقديره عاقبة ذلك • (ويجعلون لمالايعلمون نصيباً مما رزقناهم) عطف على ما سبق ويجعلون فعل مضارع وفاعل ولما متعلقان بيجعلون وجملة لا يعلمون صلة لما والضمير في يعلمون عائد على المشركين والعائد محذوف يقدر بأنها تضر ولا تنفع ولك أن تجعله عائداً على الأصنام المدلول عليها بما أي الأشياء غير موصوفة بالعلم لا تشعر أجعلوا لها نصيباً في أنعامهم وزروعهم أم لا ، ونصيباً مفعول يجعلون ومما صفة لنصيباً وجملة رزقناهم صلة • (تالله لتسألن عما كنتم تفترون) التاء تاء القسم الجارة ولفظ الجلالة مجرور بتاء القسم والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره قسمي واللام واقعة في جواب القسم وتسألن فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون

المحذوفة لتوالي الأمثال والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة وقد تقدم لهذا الاعراب نظائر وعما متعلقان بتسألن وجملة كنتم صلة وجملة تفترون خبر كنتم . (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) ويجعلون عطف على ما تقدم ولله متعلقان بيجعلون والبنات مفعول يجعلون وسبحانه منصوب على المصدرية بفعل محذوف والجملة معترضة لكونه بتقدير الفعل وقد وقعت في مطاوي الكلام لأن قوله تعالى ولهم ما يشتهون عطف على قوله لله البنات على رأي الزمخشري والفراء ، ولهم خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وجملة يشتهون صلة وبعضهم أعرب ما في محل نصب فعل مقدر وجملة ولهم ما يشتهون إما استئنافية وإما حالية ولك أن تعطف ما على البنات ولهم على لله فيكون من قبيل عطف المفردات وهذا رأي الزمخشري والفراء وتعقبهما أبو حيان فقال « وذهلوا عن قاعدة في النحو وهي أن الفعل إذا رفع ضميراً وجاء بعده ضمير منصوب لا يجوز أن ينصبه الفعل إلا إن كان من باب ظن وأخواتها من الأفعال القلبية أو فقد وعدم فيجوز زيد ظنه قائماً تريد ظن نفسه ، ولو قلت زيد ضربه فتجعل في ضرب ضمير رفع عائداً على زيد وقد تعدي للضمير المنصوب لم يجز والمجرور يجري مجرى المنصوب فلو قلت زيد غضب عليه لم يجز كما لم يجز زيد ضربه فلذلك امتنع أن يكون قولهم لهم متعلقاً بيجعلون . (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) الواو حالية من ضمير يجعلون أي الواو أي كيف يستسيغون نسبة البنات اليه تعالى وهذه حالتهم واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة بشر أحدهم مضافة للظرف وبالأنثى جار ومجرور متعلقان ببشر وجملة ظل لا محل لها ووجهه اسم ظل ومسوداً خبرها والواو حالية أيضاً وهو مبتدأ وكظيم خبر والجملة حال متداخلة ، وليس المراد السواد الذي

هو ضد البياض بل المراد الكناية بالسواد عن التغير والانكسار بما يحصل من الغم ، والعرب تقول لكل من لقي مكروهاً قد اسود وجهه غماً وحزناً قاله الزجاج وقال الماوردي : بل المراد سواد اللون حقيقة قال : وهو قول الجمهور والأول أولى فإن المعلوم بالوجدان أن من غضب وحزن واغتم لا يحصل في لونه إلا مجرد التغير وظهور الكآبة والانكسار لا السواد الحقيقي . (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) جملة يتوارى حالية من الضمير في كظيم ومن القوم متعلقان به ومن سوء متعلق به أيضاً فالأولى للابتداء والثانية للعلة وما اسم موصول مضاف لسوء وجملة بشر به صلة أي من الأنثى وسوءها حسب اعتقاداتهم أنها مستهدفة للغواية ويخافون عليها من الزنا ومن حيث كونها لا تكتسب . (أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) الهمزة للاستفهام وجملة يمسكه الاستفهامية معمولة لشيء محذوف هو حال من فاعل يتوارى أي يتوارى حائراً متردداً مترجحاً بين اليقين والشك أيمسكه محتملاً الذل أم يئده في الحياة ويمسكه فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وعلى هون حال من الفاعل المستتر أو من المفعول به وأم حرف عطف ويدسه عطف على يمسكه وفي التراب متعلقان بيدسه والتذكير في يمسكه ويدسه مع كونه عبارة عن الأنثى لرعاية اللفظ . (ألا ساء ما يحكمون) ألا حرف تنبيه وساء فعل ماض لإنشاء الذم وما نكرة منصوبة على التمييز أو موصولة فاعل ساء وجملة يحكمون صلة ولك أن تجعلها مصدرية والمصدر المؤول فاعل أي ساء حكمهم . (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم) للذين خبر مقدم وجملة لا يؤمنون صلة وبالآخرة متعلقان بيؤمنون ومثل السوء مبتدأ مؤخر ولله المثل الأعلى عطف على ماسبق وهو مبتدأ والعزيز خبر أول والحكيم خبر ثان .

الفوائـد :

حذف فعل الشرط وجوابه :

يجوز حذف ماعلم ما شرط إن كانت الأداة إن مقرونة بلا النافية كقول الأحوص يخاطب مطراً وكان مطر دميم الخلقة وتحته امرأة وسيمة :

فطلّقهـا فلست لها بكفء وإلاّ يعـل مفرقك الحسام

فحذف فعل الشرط لدلالة قوله فطلقها عليه وأبقى جوابه أي وإن لا تطلقها يعل ولهذه الشروط منع بعض المفسرين إعراب « وما بكم من نعمة فمن الله » شرطية واكتفى بأن جعلها موصولة لكن نقل النحاة ان هـذه الشروط ليست ملزمـة فقد يتخلف واحـد من إن والاقتران بلا وقـد يتخلفان معاً فالأول ما حكـاه ابن الأنباري في الإنصاف عن العرب : من يسلم عليك فسلم عليه ومن لا فلا تعبأ به أي ومن لا يسلم عليك فلا تعبأ به قال الشاطبي وهذا نص في الجواز والثاني نحو « وإن امرأة خافت من بعلها » فحذف الشرط مع انتفاء اقتران إن بلا والثالث كقوله :

متى تؤخذوا قسراً بظنة عامر ولم ينج إلا في الصفاد يزيد

أي متى تثقفوا تؤخذوا فحذف الشرط مع انتفاء الأمرين ويجوز حذف ما علم من جواب شرط ماض نحو « فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية » فإن استطعت شرط حذف جوابه لدلالة الكلام عليه والتقدير فافعل والشرط الثاني وجوابه جواب للشرط الأول والمعنى إن استطعت منفذاً تحت الأرض تنفذ فيه فتطلع

لهم بآية أو سلماً تصعد به الى السماء فتنزل منها بآية فافعل وسيأتي تفصيل ذلك في مواضعه .

وفيما يلي عبارة ابن هشام في المغني قال عند الكلام على ما الشرطية : « وقد جوزت في : وما بكم من نعمة فمن الله على أن الأصل وما يكن ثم حذف فعل الشرط كقوله :

إن العقل في أموالنا لا نضق بها
ذراعاً وإن صبراً فنصبر للصبر

أي إن يكن العقل وان نحبس حبساً والأرجح في الآية أنها موصولة وان الفاء داخلة على الخبر لاشرطية والفاء داخلة على الجواب » .

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

اللغـــة :

(مفرطون) : اسم مفعول من أفرط أي أعجل يقال : أفرطت فلاناً وفرطته في طلب الماء إذا قدمته وقيل منسيون متروكون من أفرطت فلاناً خلفي إذا خلفتــه ونسيته وفي المختار : « وفرط القوم سبقهم الى المـاء فهوفارط والجمع فراط بوزن كتاب وبابه نصر وأفرطه تركه ومنه قوله تعالى « وانهــم مفرطون » أي متروكون في النار منسيون وأفرط في الأمر جاوز الحدّ فيه » وفي القاموس : « وأفرط فلاناً : تركه وتقدمه وجاوز الحد وأعجل بالأمر وانهم مفرطون أي منسيون متروكون في النار أو مقدمون معجلون اليها •

وفي الحديث : عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إني فرطكم على الحوض من مرّ عليّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم » وقال القطامي :

فاستعجلونا وكانـــوا من صحابتنــا

كمـــا تعجـــل فراط لـــورّاد

الاعراب :

(ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهـم ماترك عليهـا من دابة) الواو استئنافية ولو شرطية ويؤاخذ الله الناس فعل مضارع وفاعل ومفعول به وبظلمهم الباء حرف جر للسببية أي بسبب ظلمهم متعلقان بيؤاخذ وجملة ما ترك لا محل لها وترك فعل وفاعـل مستتر وعليهـا متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لدابة ومن حرف جر زائد ودابة مجرور

لفظاً مفعول به محلاً والضمير يعود على الأرض وان لم تذكر فقد دل عنيها ذكر الناس وذكر الدابة فإن الجميع مستقرون على الأرض • (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) الواو عاطفة ولكن حرف استدراك مهمل لأنها مخففة ويؤخرهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وإلى أجل متعلقان بيؤخرهم ومسمى صفة أي معين • (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) الفاء عاطفة أو استئنافية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة جاء أجلهم مضافة للظرف وجملة لا يستأخرون لا محل لها وساعة ظرف متعلق بيستأخرون ولايستقدمون عطف على لا يستأخرون وقد تقدمت الاشارة في آية مماثلة لها إلى معنى لا يستأخرون ولا يستقدمون • (ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب) ويجعلون فعل مضارع وفاعل ولله متعلقان بيجعلون وما مفعول يجعلون وجملة يكرهون صلة وتصف ألسنتهم الكذب فعل مضارع وفاعل ومفعول به وقد فسر الكذب بقوله : (أن لهم الحسنى) فأن وما في حيزها بدل من الكذب بدل الكل من الكل ولهم خبر أن المقدم والحسني اسمها المؤخر • (لا جرم أن لهم النار وانهم مفرطون) تقدم القول في لا جرم ، وأن وخبرها المقدم واسمها المؤخر وإنهم مفرطون عطف على أن لهم النار • (تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) التاء تاء القسم والجر والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المقدر واللام واقعة في جواب القسم وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل والى أمم متعلقان بأرسلنا ومن قبلك صفة • (فزين لهم الشيطان أعمالهم) الفاء عاطفة وزين فعل ماض ولهم متعلقان بزين والشيطان فاعل وأعمالهم مفعول به • (فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم) الفاء عاطفة وهو مبتدأ ووليهم خبر واليوم ظرف متعلق بمحذوف حال إذا

أردت حكاية الحال الآتية أو في الدنيا أو متعلق بوليهم إذا أردت حكاية الحال الماضية التي كان الشيطان يزين لهم أعمالهم فيها بمعنى ناصرهم ومعينهم ، ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وأليم صفة . (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) الواو عاطفة وما نافية وأنزلنا فعل وفاعل وعليك متعلقان بأنزلنا والكتاب مفعول به وإلا أداة حصر ولتبين لام التعليل ومدخولها متعلقة بأنزلنا على معنى التعليل وإنما جر المفعول لأجله باللام لاختلاف فاعله مع فاعل الفعل فإن المنزل هو الله والمبين هو النبي . (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) هدى ورحمة عطف على محل لتبين وقد انتصبا نصب المفعول لأجله لاتحاد فاعلهما مع فاعل الفعل لأن الهادي والرحم هو الله كما هو المنزل ولقوم صفة أو متعلقان بالمصدر وجملة يؤمنون صفة لقوم .

الفوائد :

بحث مهم عن فاء التعقيب :

المعروف عن الفاء العاطفة أنها للعطف مع التعقيب ولكنه ليس التعقيب الفوري بل هي للتعقيب حسب ما يصح إما عقلاً وإما عادة ولهذا صح أن يقال دخلت البصرة فبغداد وإن كان بينهما زمان كثير لكن يعقب دخول هذه دخول تلك على ما يمكن بمعنى انه لم يمكث بواسط مثلاً سنة أو مدة طويلة بل طوى المنازل بعد البصرة ولم يقم بواحد منها إقامة يخرج بها عن حد السفر إلى أن دخل بغداد ، هذا الذي يقوله أهل اللغة وأهل الأصول وليست الفاء للفور الحقيقي الذي معناه حصول هذا بعد هذا بغير فصل ولا زمان ، ألا ترى إلى قوله تعالى « فإذا جاء أجلهم » فإن مجيء الأجل متراخ عن التأخير وسيأتي لهذا نظائر .

وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

اللغـــة :

(الانعــام) : تقدم شرحها في سورة الانعــام وقد ذكر سيبويه الانعام في باب مالا ينصرف في الأسماء الواردة على أفعال ولذلك رجع الضمير اليه مفرداً وقد رجع الضمير إليها مؤنثاً في سورة المؤمنون لأن معناها الجمـع ويجوز أن يقال في الأنعــام وجهان أحدهما أن يكون

تكسير نعم كأجبال في جبل وأن يكون اسماً مفرداً مقتضياً لمعنى الجمع فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله :

في كل عـام نعمٌ تحوونه يلقحـــه قوم وتنتجونــه

وإذا أنث ففيه وجهـان انه تكسير نعـم وانه في معنى الجمع ، ولسيبويه بحث طريف كما قلنا فقـد عدّ المفردات المبنية عـلى أفعال كأخلاق وأمشاج فيعامـل بالتذكير تارة باعتبار لفظه وبالتأنيث أخرى اعتباراً بمعناه وقيل هو جمع نعم كأسباب وسبب .

وقال ابن يعيش : « واعلم أن أبنية القلة أقرب الى الواحـد من أبنية الكثرة ولذلك يجري عليها كثير من أحكام المفرد ومن ذلك جواز تصغيره على لفظه خلافاً للجمـع الكثير ومنها جواز وصف المفرد بها : غرب ثوب أسمال وبرمة اكسار ومنها جواز عود الضمـير اليها بلفظ الإفراد نحو قوله تعالى : « وإن لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونــه » .

(عبرة) : عظة أي دلالة يعبر عليها من الجهل الى العلم فهي مصدر بمعنى العبور أطلق عـلى ما يعبر به الى العلم مبالغـة في كونـه سبباً الى العبور .

(فرث) : الفرث الروث والأشياء المأكولـة المنهضمـة بعض الانهضام في الكرش .

قال الحريري في درة الغواص : « ويقولون : فرث لما يخرج من الكرش وهو وهم لأنه إنما يسمى به مادام فيها فإذا خرج سمي سرجيناً

ومن أمثال العرب فيمن يحفظ الحقير ويضع الجليل : « فلان يحفظ الفرث ويفسد الحرث » وأجيب عن هذا بأن ذلك القول باعتبار ما كان ومثله كثير مطرد .

(سائغاً) : سهل المرور في الحلق لا يغص به .

(سكرا) : السكر بفتحتين الخمر سميت بالمصدر من سكر سكراً وسُكْرا نحو رشد رَشَداً ورُشْداً ، قال :

فجاءونا لهـــم سكر علينـــا فأجلى اليوم والسكران صاح

وفي القاموس والتاج : سكر يسكر من باب تعب سكراً بفتحتين وسكراً بضم فسكون وسكراً بضمتين وسكراً بفتح فسكون وسكراناً بفتحتين من الشــراب نقيض صحا فهــو سكر وسكران وهي سكرة وسكرى وسكرانة والجمع سكرى وسكارى بفتح السين وسكارى بضمها وجاء في غيره : « في السكر أربعة أقوال : الأول أنه من أسماء الخمر والثاني أنه مصدر في الأصل ثم سمي به الخمر والثالث أنه اسم للخل بلغة الحبشة والرابع أنه اسم للعصير ما دام حلواً كأنه سمي مجازاً لمآله لذلك لو ترك » .

(يعرشون) : يبنون وبابه ضرب ونصــر كما في المختــار وفي القاموس : وعرش يعرش بنى عريشاً كأعرش وعرش بالتثقيل .

الاعراب :

(والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) الله مبتدأ وجملة أنزل خبر ومن السماء متعلقان بأنزل وماء مفعول به فأحيا عطف

على أنزل وبه متعلقان بأحيا والأرض مفعول وبعد موتها الظرف متعلق بمحذوف حال • (إن في ذلك لآية لقوم يسمعون) إن وخبرها المقدم واللام المزحلقة وآية اسم ان ولقوم صفة لآية وجملة يسمعون صفة لقوم • (وإن لكم في الأنعام لعبرة) الواو عاطفة وإن حرف مشبه بالفعل ولكم خبرها المقدم وفي الأنعام حال لأنه كان صفة لعبرة واللام المزحلقة وعبرة اسمها المؤخر • (نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين) نسقيكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به ومما متعلقان بنسقيكم وفي بطونه صلة ما وجملة نسقيكم مفسرة لعبرة أو خبر لمبتدأ محذوف على حد قوله « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » كأنه قيل : العبرة هي نسقيكم ومن بين فرث ودم حال لأنه كان في الأصل صفة لقوله لبناً وقدم عليه ولك أن تجعله حالاً من ما التي قبله ومعنى من الأولى للتبعيض لأن اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية لأن بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدأ ولبناً مفعول ثان لنسقيكم وسائغاً صفة وللشاربين متعلقان بسائغاً • (ومن ثمرات النخيل تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً) ومن ثمرات النخيل خبر مقدم وجملة تتخذون صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ المؤخر أي ثمر" كانوا يتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً لأنهم كانوا يأكلون منه بعضاً ويتخذون السكر من بعضه الآخر ولك أن تعلقه بمحذوف دل عليه نسقيكم أي نسقيكم من عصير النخيل والأعناب وعندئذ تكون جملة تتخذون حالاً وقال أبو حيان : «والظاهر تعلق من ثمرات بتتخذون وكررت من للتوكيد وكان الضمير مفرداً راعياً لمحذوف أي ومن عصير ثمرات أو على معنى الثمرات وهو الثمر وقيل تتعلق بنسقيكم فيكون معطوفاً على مما في بطونه أو بنسقيكم محذوفة دل عليها نسقيكم المتقدمة فيكون من عطف الجمل والذي قبله من عطف المفردات إذا اشتركا في العامل

وقيل معطوف على الأنعام أي ومن ثمرات النخيل والأعناب عبرة ثم بيّن العبرة بقوله تتخذون » وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله « بكفي كان من أرمى البشر » تقديره ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه • والضمير في منه يعود على العصير المقدر والأول أضبط وسكراً مفعول تتخذون ورزقاً عطف على سكراً وحسناً صفة ولا يخفى ما يتولد عن العنب والتمر من خل وزبيب ودبس وفي المختار : الدبس ما يسيل من الرطب • (إن في ذلك لآية لقوم يعقلون) إن وخبرها المقدم واللام المزحلقة وآية اسمها المؤخر وجملة يعقلون صفة لقوم • (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون) الواو عاطفة على ما قبلها لتتساوق الدلائل على عجائب صنعته تعالى وبدائع قدرته ولك أن تجعلها مستأنفة مسوقة لما ذكر وأوحى ربك فعل وفاعل والى النحل متعلقان بأوحى وأن هي المفسرة لأن في الايحاء معنى القول دون حروفه وهو الشرط المعقود لأن التفسيرية ، ولك أن تجعلها مصدرية وهي مع مدخولها نصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بأوحينا أي بأن اتخذي وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب الفوائد فتنبّه له ومن الجبال متعلقان باتخذي فمن للتبعيض لأنها لا تبني بيوتها في كل جبل وشجر وكل ما يعرش وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب البلاغة وبيوتاً مفعول اتخذي ومن الشجر عطف على من الجبال وكذلك مما يعرشون • (ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذُللاً) ثم حرف عطف للتراخي والسرّ فيه أن سعيها لطلب الرزق بعد اتخاذها البيوت نسكناها لتطلب بعد ذلك الرزق في مظانه ، وكلي فعل أمر وفاعل ومن كل الثمرات متعلقان بكلي فاسلكي الفاء عاطفة واسلكي عطف على كلي وسبل ربك مفعول به وذللاً حال من السبل لأن الله ذللها لها ووطأ لها

مهادها ومسالكها أو من فاعل اسلكي أي وأنت منقادة لما أمرت به وهيئت له . (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) في الكلام التفات من الخطاب الى الغيبة سيأتي الكلام عنه في باب البلاغة ويخرج فعل مضارع ومن بطونها متعلقان بيخرج وشراب فاعل يخرج ومختلف صفة لشراب وألوانه فاعل مختلف لأنه اسم فاعل وفيه خبر مقدم وشفاء مبتدأ مؤخر وللناس جار ومجرور متعلقان بشفاء والجملة صفة ثانية لشراب . (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) تقدم إعراب نظيرتها قريباً فجدد به عهداً .

البلاغة :

١ ـ الالتفات :

في قوله تعالى « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه » إلى آخر الآية ، التفات من الخطاب الى الغيبة ولو جاء الكلام على النسق الأول لقيل من بطونك ، وإنما صرف الكلام هاهنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة وهي انه ذكر للبشر العسل وأوصافه وألوانه المختلفة وأخبرهم أن فيه فوائد شتى لهم ليلفت انتباههم اليه ولو قال من بطونك لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة وليس ذلك بخاف عن نقدة الكلام .

٢ ـ التنكير :

ونكر قوله « فيه شفاء » ولم يقل فيه الشفاء لكل الناس فاندفع الاعتراض بأن كثيرين يأكلون العسل ولا يشفون مما ألم بهم . فيلاحظ أن النكرة في سياق الاثبات لا تفيد العموم وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي سعيد أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال يا رسول الله إن أخي استطلق بطنه فقال: اسقه عسلاً فسقاه عسلاً ثم جاء فقال سقيته عسلاً فما زاد إلا استطلاقاً ، قال اذهب فاسقه عسلاً فذهب فسقاه ، ثم جاء فقال ما زاده إلا استطلاقاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق الله وكذب بطن أخيك اذهب فاسقه عسلاً فذهب فسقاه عسلاً فبرىء .

٣ ـ التنكيت :

في قوله تعالى : « أن اتخذي من الجبال بيوتاً » وقد تقدمت الاشارة إليه وهو هنا في قوله من الجبال إذ معنى من هنا للتبعيض ولم يقل في الجبال لأنها لا تبني بيوتها في كل جبل وفي كل شجر وكل ما يعرش فلم يترك لها الحرية في بناء البيوت ولم يكل الأمر إلى شهواتها كما وكله اليها في قوله ثم كلي من الثمرات وإنما خولف ذلك وحجر عليها في المسكن ولم يحجر عليها في المأكل لأن مصلحة الآكل حاصلة على الاطلاق لاستمراء مشتهاها منه وأما البيوت فلا تحصل مصلحتها في كل موضع ولهذا المعنى بالذات دخلت ثم لتفاوت الأمر وتباعده بين الحجر عليها في اتخاذ البيوت والاطلاق لها في تناول الثمرات .

الفوائد :

أن التفسيرية :

تقدم القول في « أن التفسيرية » وانها الواقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه وقد وقعت هنا بعد الايحاء لما فيه من معنى القول فما بعدها لا محل له من الاعراب ومن طريف المناقشات أن أبا عبد الله الرازي وهو الفخر المشهور منع ذلك وقال إننا لا نسلم أنها مفسرة كيف

وقد انتفى شرط التفسير لأن الوحي هنا إلهام باتفاق وليس في الإلهام معنى القول قال : وإنما هي مصدرية أي باتخاذ الجبال بيوتاً ولكن الفخر الرازي جنح به الخيال هذه المرة فلم يقع على الصواب إذ المقصود من القول الإعلام والإلهام فعل من أفعال الله يتضمن الإعلام بحيث يكون الملهم عالماً بما ألهم به وإلهام الله النحل من هذا القبيل •

وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

اللغة :

(حفدة) : الحفدة : جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ، قال :

حفد الولائد بينهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمال

وفي الصحاح : « الحفدة الأعوان والخدم أيضاً » وفي المختار : « الحفد السرعة وبابه ضرب وحَفدا أيضاً بفتح الفاء ومنه قولهم في الدعاء واليك نسعى ونحفد ، وأحفده حمله على الحفد وبعضهم يجعل أحفد لازماً والحفد بفتحتين الأعوان والخدم وقيل ولد الولد واحدهم حافد » وفي القاموس والتاج : « حفد يحفد من باب ضرب حفداً بسكون الفاء وحفوداً وحفداناً واحتفد في العمل أسرع وحفده خدمه وأحفد الظلم أسرع وأحفده حمله على الحفد أي الإسراع والحفيد ولد الولد وجمعه حُفَدَاء والحافد : الخادم والتابع والناصر وولد الولد وجمعه حفدة وحفد والحفدة أيضاً : صناع الوشي » وللمفسرين كلام طويل حول المراد بهم واللفظ يحتمل الجميع لاشتمال الحفدة على الكثير من المعاني كما تقدم .

الاعراب :

(والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) الله مبتدأ وجملة خلقكم خبر ثم حرف عطف للتراخي كما تقدم ومنكم الواو حرف عطف ومنكم خبر مقدم وهو معطوف على مقدر أي فمنكم من يبقى محتفظاً بقوة جسمه وعقله ومنكم ، ومن مبتدأ مؤخر وجملة يرد صلة ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وإلى أرذل العمر متعلقان بيرد وأرذل العمر هو الهرم حيث تغور الأعين وتضعف الحركات وترتعش المفاصل ويدب الوهن إلى جميع أنحاء الجسم ويستولي الخرف عليه . (لكيلا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير) اللام لام التعليل وكي حرف مصدري ونصب ولا نافية ويعلم منصوب بكي واللام ومدخولها متعلقة بيرد ويجوز أن تكون اللام للصيرورة أي فكانت عاقبته أنه رجع الى حال الطفولة في النسيان وعدم الادراك ، وبعد علم ظرف متعلق

بيعلم وشيئاً مفعول به ليعلم ولك أن تجعـل المسألة من باب التنازع فتنصب شيئاً بالعلم وهو مصدر وإن واسمها وعليم خبرها الأول وقدير خبرها الثاني • (والله فضل بعضكم عـلى بعض في الرزق) الله مبتدأ وجملة فضل خبر وبعضكم مفعول به وعلى بعض جار ومجرور متعلقان بفضل وفي الرزق حال أي حالة كونكم مرزوقين فمنكم غني ومنكم فقير • (فما الذين فضّلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم) الفاء عاطفة وما نافية حجازية والذين اسمها وجملة فضلوا صلة والباء حرف جر زائد ورادي مجرور لفظاً خبر ما محـلاً ورزقهم مضاف اليه من إضافة المصدر إلى مفعوله وعلى ما متعلقان برادي وملكت أيمانهم صلة • (فهم فيه سواء) الفاء عاطفة للدلالة على أن التساوي مترتب على التراد أي لا يردون عليهـم رداً مستتبعاً للتساوي وإنمـا يردون عليهم شيئاً يسيراً وهم مبتدأ وفيه متعلقان بسواء وسواء خبر هم وسيأتي بحث هذا الايجاز البليغ في باب البلاغة • (أفبنعمة الله يجحدون) استفهام إنكار وتوبيخ والفاء عاطفة على مقدر أي يشركون به فيجحدون نعمته وبنعمة الله متعلقان بيجحدون لأنه متضمن معنى الكفران • (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً) الله مبتدأ وجملة جعـل خبر ولكم متعلقان بجعل ومن أنفسكم حـال لأنه كان في الأصل صفة لأزواجاً وأزواجاً مفعول جعل (وجعل لكم من أزواجكم بنيناً وحفدة) عطف على ما تقدم والاعراب مماثل لها (ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون) ورزقكم فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به ومن الطيبات متعلقان برزقكم والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والفاء عاطفة على مقدر أي يكفرون بالله فيؤمنون بالباطل وبنعمة الله متعلقان بيكفرون وهم مبتدأ وجملة يكفرون خبر •

البلاغــة :

الايجـــاز :

في قوله تعـالى « فهم فيه سواء » إيجاز بليغ ، وإشارة الى أرفع النظم التي يتحتم عـلى البشر سلكوكها في دنياهم لتستقيم أمورهم ، وتزول أسباب العداوة والخصام من قلوبهم وليسود السلام بينهم فقد أخبر تعالى أنه جعلهـم متفاوتين في الرزق ولكن هـذا التفاوت لايعني تفضيلهم عليهم في الانسانية أو كأنه يشير إلى أن الواجب يحتم عليكم أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهـم حتى تتساووا في الملابس والمطاعم روي عن أبي ذر الغفاري أنه سمع النبي صـلى الله عليه وسلم يقول : « إنما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون » ويزداد هذا المعنى رسوخاً بما تلاه من توبيخ لهم وتقريع لأنهم فرقوا بين الناس ومايزوا بين الطبقات.وفي قوله تعالى « إلى ارذل العمر »ايجاز آخر،إلى الهرم ومايستوجبه من حالات الضعف والخرف التي تدنو بالعاجز والهرم إلى عالم الطفولة الأول مع الفارق البـيّن بين الأمل المترتب على الطفولة ومخايلها المبشرة بالفوز في المستقبل والأمل بالحياة الراغد في الآتي أما الآن فليس أمامه إلا مكابدة الحالات التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ منها وهي قوله : « اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات » .

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤) ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن

رَزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

اللغـــة :

(أبكم) : الأبكم الذي ولد أخرس فهو أخص من مطلق الأخرس وفي القاموس : « البكم محرك الخرس كالبكامة أو مع عيٍّ وبله أو أن يولـد ولا ينطق ولا يسمع ولا يبصر وبكم كفرح فهو أبكم وبكيم والجمع بكم ، وبكم ككرم امتنع عن الكلام تعمداً » وروى ثعلب عن ابن الاعرابي : الأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر وعلى هـذا يتميز عن الأخرس بأنه لا يفهم ولا يُفهم أما الأخرس فيفهم بالسماع أو بالاشارة ويفهم بالاشارة .

(كَلٌّ) : ثقيل على من يلي أمره ويعوله وفي القاموس وغيره : « مصدر كل يكـل من باب تعب كلاًّ وكلة وكلالاً وكلولاً وكَلالة وكلّولة تعب وأعيا والضعيف والذي لا ولد له ولا والد وقفا السكين أو السيف والوكيل والصنم والمصيبة تحدث والعيّل والعيال والثقل ويطلق الكَلّ عـلى الواحـد وغيره وبعضهم يجمـع المذكر والمؤنث على كلول » .

الاعراب :

(ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السموات والارض) الواو عاطفة ويعبدون فعل مضارع وفاعل ومن دون الله حال وما مفعول به وجملة لا يملك صلة ورزقاً مفعول به ومن السموات والارض صفة لرزقاً أو متعلقان برزقاً . (شيئاً ولا يستطيعون) شيئاً مفعول به لرزقاً إذا أردت به المصدر أو اسم المصدر كقوله تعالى : « أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ... » ، وان أردت به المرزوق كان شيئاً بدلاً منه بمعنى قليلاً وسيأتي في باب الفوائد تفصيل حول إعراب شيئاً لا بد من معرفته ، ولا يستطيعون يجوز في هذه الجملة العطف على صلة ما والاخبار عنهم بعدم الاستطاعة باعتبار معناها لأن ما هنا مفردة لفظاً جمع معنى ويجوز أن تكون مستأنفة وعلى كل حال الواو عائدة على ما والمراد بها آلهتهم (فلا تضربوا لله الأمثال) الفاء استئنافية ولا ناهية وتضربوا فعل مضارع مجزوم والواو فاعل ولله متعلقان بتضربوا والأمثال مفعول به لأن ضرب المثل تشبيه حال بحال وذلك يتنافى مع الذات الإلهية . (إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) إن واسمها وجملة يعلم خبر والجملة تعليلية وأنتم الواو حالية وأنتم مبتدأ وجملة لا تعلمون خبر . (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء) جملة مستأنفة لتعليمهم كيف يضرب الله المثل ، وضرب الله مثلاً فعل وفاعل ومفعول به وعبداً بدل من مثلاً ومملوكاً صفة وجملة لا يقدر على شيء صفة ثانية وعلى شيء متعلقان بيقدر أي من التصرفات (ومن رزقناه منّا رزقاً حسناً) الواو عاطفة ومن عطف على عبداً مملوكاً ومن اسم موصول أو نكرة موصوفة كأنه قيل وحراً رزقناه ليطابق عبداً وجملة رزقناه صلة على الأول وصفة على

الثاني ونا فاعل والها مفعول به ومنا متعلقان برزقناه ورزقاً مفعول به ثان إن أردت به الحال أو مفعول مطلق إن أردت به المصدر وحسناً صفة لرزقاً . (فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون) الفاء عاطفة وهو مبتدأ وجملة ينفق خبر ومنه متعلقان بينفق وسراً وجهراً مصدران منصوبان على المفعولية المطلقة أي انفاق سر وجهر أو منصوبان على الحال أي مسراً ومجاهراً وتقديم السر على الجهر مشعر بفضيلته عليه وأن الثواب فيه أكثر ، وهل حرف استفهام للنفي وجمع الضمير في يستوون وان تقدمه اثنان لأن المراد جنس الأحرار والعبيد المدلول عليهما والمعنى لا يستوي الأحرار والعبيد . (الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون) الحمد مبتدأ ولله خبر وبل حرف اضراب وأكثرهم مبتدأ وجملة لا يعلمون خبر وأتى بالجملة الاخبارية ارشاداً للعبد الى وجوب شكر المنعم على ما أسبغ من العوارف والآلاء . (وضرب الله مثلاً رجلين) الواو عاطفة وضرب الله مثلاً فعل وفاعل ومفعول به ورجلين بدل من مثلاً . (أحدهما أبكم لا يقدر على شيء) أحدهما مبتدأ وأبكم خبره وجملة لا يقدر على شيء صفة أبكم (وهو كَلٌّ على مولاه) الواو حالية وهو مبتدأ وكل خبره وعلى مولاه متعلقان بكل (أينما يوجهه لا يأتي بخير) أينما اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية المكانية، وهو متعلق بفعل الشرط كما هي القاعدة وقيل بجوابه ولكل وجه وقال الرضي : « العامل في متى وكل ظرف فيه معنى الشرط شرطه على ما قاله الأكثرون » غير إذا والصحيح ان العامل فيها الجواب ووجهه ابن الحاجب فقال : ان الشرط والجزاء جملتان ولا يستقيم عمل الجواب في اسم الشرط لأنه يؤدي إلى أنه يصير جملة واحدة لأنه إذا كان ظرفاً له كان من تتمته ولا يكون جملة ثانية أما إذا فالعامل فيها هو الجزاء

ووجه ذلك قوة توهم الاضافة في إذا وضعفه في متى ، وفصل بعضهم فقال : والأولى أن تفصل ونقول إن تضمن إذا معنى الشرط فحكمه حكم أخواته من متى ونحوه وإن لم يتضمن نحو إذا غربت الشمس جئتك بمعنى أجيئك وقت غروب الشمس فالعامل هو الفعل الذي في محل الجزاء وإن لم يكن جزاء في الحقيقة دون الذي في محل الشرط إذ هو مخصص للظرف وتخصيصه له إما لكونه صفة له أو لكونه مضافاً اليه ولا ثالث بالاستقراء . ويوجهه فعل الشرط ولا نافية ويأت جواب الشرط وبخير متعلقان بيأت. (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن وهو على صراط مستقيم) هل حرف استفهام معناه النفي ويستوي فعل مضارع وهو تأكيد للفاعل المستتر ومن عطف على الفاعل المستتر في يستوي والشرط موجود وهو العطف بالضمير المنفصل وهو لفظ هو وهو مبتدأ وعلى صراط مستقيم خبره والجملة الاسمية صلة من وحذف مقابل أحدهما أبكم للدلالة عليه بقوله ومن يأمر أي والآخر ناطق قادر خفيف على مولاه أينما يوجهه يأت بخير .

الفوائد :

الفرق بين المصدر واسم المصدر :

كثر الاختلاف في إعراب شيئاً ولهذا كان لا بد من التبسّط في إعمال المصدر ، والفرق بينهما : ان المصدر هو الذي له فعل يجري عليه كالانطلاق في انطلق واسم المصدر هو اسم المعنى وليس له فعل يجري عليه كالقهقرى فإنه لنوع من الرجوع ولا فعل له يجري عليه من لفظه وقد يقولون مصدر واسم مصدر في الشيئين المتغايرين لفظاً أحدهما للفعل والآخر للدلالة التي يستعمل بها الفعل كالطَهور

والطَّهور والأَكل والأُكل فالطهور المصدر والطهور اسم ما يتطهر به والأكل المصدر والأُكُل ما يؤكل ·

ويعمل المصدر عمل فعله إن كان يحل محله فعل إما مع أن المصدرية والزمان ماض أو مستقبل نحو عجبت من ضربك زيداً أمس ، ونحو يعجبني ضربك زيداً غداً وإما مع ما المصدرية والزمان حال فقط كيعجبني ضربك زيداً الآن أي ما تضربه الآن وعمل المصدر مضافاً أكثر من عمله غير مضاف نحو : « ولولا دفع الله الناس » وعمله منوناً هو القياس لأنه أقرب إلى الشبه بالفعل لتنكيره نحو : « أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً » فإطعام مصدر وفاعله مستتر ويتيماً مفعوله وعمله معرفاً بأل قليل في السماع ضعيف في القياس لبعده من مشابهة الفعل كقوله :

ضعيف النكاية أعداءه   يخال الفرار يراخي الأجل

فالنكاية مصدر مقرون بأل وأعداءه مفعوله والمعنى ضعيف نكايته أعداءه يظن أن الفرار من الموت يباعد الأجل ·

أما اسم المصدر فيعمل أيضاً كالمصدر إذا كان ميمياً كقول العرجي وقيل الحارث بن خالد المخزومي :

أظلوم إن مصابكم رجلاً   أهدى السلام تحية ظلم

فمصاب مصدر ميمي مضاف إلى فاعله ورجلاً مفعوله وجملة أهدى السلام نعت رجلاً وتحية مفعول مطلق وستأتي قصة هذا البيت، وإن كان غير ميمي لم يعمل عند البصريين لأن أصل وضعه لغير المصدر

فالغسل موضوع لما يغتسل به والوضوء لما يتوضأ به ويعمل عند الكوفيين وجماعة من البصريين وعليه قول القطامي :

أكفراً بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا

فعطاء اسم مصدر مضاف الى فاعله والمائة مفعوله الثاني أما الأول فهو محذوف أي عطائك إياي المائة الرتاع أي الراتعة وهي الإبل التي ترتعي والواقع أن البصريين اضطربت أقوالهم فقال بعضهم بالجواز وقال بعضهم بالمنع •

قصة بيت العرجي :

غنت جارية بحضرة الواثق من شعر العرجي :

أظلوم إن مصابكم رجلاً أهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من بالحضرة في إعراب رجلاً فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازني لقنها إياه بالنصب فأمر الواثق بأشخاصه قال أبو عثمان : فلما مثلت بين يديه قال : ممن الرجل ؟ قلت من مازن ، قال : من أي الموازن؟ قلت : من مازن ربيعة فكلمني بكلام قومي وقال با اسمك ؟ لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميماً إذا كانت في أول الأسماء فكرهت أن أجيبه على لغة قومي لئلا أواجهه بالمكر فقلت : بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصدته وأعجبه مني ذلك ثم قال : ما تقول في قول الشاعر :

أظلوم إن مصابكم رجلاً أهدى السلام تحية ظلم

أترفع رجلاً أم تنصبه فقلت الوجه النصب قال ولم ذلك ؟ فقلت : لأن مصابكم مصدر بمعنى إصابتكم وهو بمنزلة قولك : إن ضربك زيداً ظلم فالرجل مفعول مصاب ومنصوب به والدليل عليه ان الكلام متعلق الى أن تقول ظلم فيتم فاستحسنه الواثق وأمر له بألف دينار .

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾

اللغـــة :

(ظعنكم) : سفركم يقـال ظعن يظعن من باب فتح ظعْناً وظعَناً وظعوناً ومظعناً سار ورجل قال :

أقاطن قوم سلمى أم نووا ظعنا إن يظعنوا فعجيب عيش من قطنا

والقاعدة هي : كل ما كان بوزن فعل مما عينه حرف حلق يجوز تسكينه كبحر ونحر ونهر وشعر وشهر ، وقال ابن درستويه في شرح الفصيح : أهل اللغة وأكثر النحويين يقولون : كل ما كان الحرف الثاني منه حرف حلق جاز فيه التسكـين والفتح وقـال الحذاق : ليس ذلك صحيحاً ولكن هي كلمات فيها لغتان فمن سكن من العرب لا يفتح ومن فتح لا يسكن إلا في ضرورة شعر والدليل على ذلك انه قد جاء عنهم مثل ذلك في كلام كثير ليس في شيء منه من حروف الحلق شيء مثل القبض والقبض فإنه جاء فيهما الفتح والاسكان ، قال : ومما يدل على بطلان ما ذهبوا اليه أنه قد جاء في النطع أربع لغات فلو كان ذلك من أجل حروف الحلق لجازت هذه الاربع في الشعر والنهر وكل مـا كان فيه شيء من حروف الحلق قال : ومما جاء فيه الوجهان مما ثانيه حرف حلـق : الشعر والشعر والنهر والنهر والصخر والصخر والبعر والبعر والظعن والظعن والدأب والدأب والفحم والفحم والسحر والسحر للرئة، ومما جاء فيه الوجهان وليس ثانيه حرف حلق نشز من الأرض ونشز مرتفع ورجـل صدع وصدع خفيف اللحـم وليلة النفر والنفر وسطر وسطر وقدر وقدر ولفظ ولفظ وشمع وشمع ونطع ونطع وغذل وغذل وطرد وطرد وغبن وغبن ودرك ودرك وشبح وشبح للشخص ، وهو صريح في أن طريق ذلك السماع .

(أثاثاً) : الأثاث : متاع البيت الكبير وأصله من أث أي تكاثف وكثر ومنه شعر أثيث أي كثير مجتمع قال امرؤ القيس :

وفرع يزين المتن أسود فاحم ... أثيث كقنو النخلة المتعثكل

وقال الخليل : الأثاث والمتاع واحد وجمع بينهما لاختلاف لفظيهما ، فإن قلت لا بد من فرق بين الأثاث والمتاع حتى يصح ذكر واو العطف والعطف يوجب المغايرة فما هو هذا الفرق ؟ قلت الأثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه فيدخل فيه جميع أصناف المال ، والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظين .

(أكنان) : جمع كن وهو ما يستكن فيه من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف وفي المختار : « الكنّ السترة والجمع أكنان قال تعالى : « وجعل لكم من الجبال أكناناً » والأكنة الأغطية قال تعالى : « وجعلنا على قلوبهم أكنة » الواحد كنان وقال الكسائي كنّ الشيء ستره وبابه رد » وقد تقدم ذكر الأكنة .

(سرابيل) هي القمصان والثياب المتخذة من الصوف والكتان والقطن ومنه قول لبيد :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي ... حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

الاعراب :

(ولله غيب السموات والأرض وماأمر الساعة إلاكلمح البصر أوهو أقرب) الواو استئنافية ولله خبر مقدم وغيب السموات والارض مبتدأ مؤخر والواو عاطفة وما نافية وأمر مبتدأ والساعة مضاف إليه وإلا أداة حصر وكلمح البصر خبره وأو حرف عطف وهو مبتدأ وأقرب خبره . (إن الله على كل شيء قدير) إن واسمها وعلى كل شيء متعلقان بقدير

وقدير خبر إن . (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) الله مبتدأ وجملة أخرجكم خبر ومن بطون أمهاتكم جار ومجرور متعلقان بأخرجكم . (لا تعلمون شيئاً) الجملة في محل نصب على الحال من الكاف أي غير عالمين شيئاً ، وشيئاً مفعول به . (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) وجعل عطف على أخرجكم والفاعل مستتر تقديره هو ولكم في موضع المفعول الثاني لجعل والسمع مفعوله الأول والأبصار والأفئدة عطف عليه ولعل واسمها وجملة تشكرون خبرها . (ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل والى الطير متعلقان بيروا ومسخرات حال أي مذللة للطيران بما خلق لها من أجنحة وأسباب مواتية له وفي جو السماء متعلقان بمسخرات أي للتحليق في سمت العلو وسكاكه . (وما يمسكهن إلا الله) الجملة حالية وما نافية ويمسكهن فعل وفاعل مستتر ومفعول به وإلا أداة حصر والله فاعل . (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) إن وخبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمها المؤخر ولقوم صفة لآيات وجملة يؤمنون صفة لقوم . (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً) والله مبتدأ وجملة جعل خبر مفعوله الأول سكناً ومفعوله الثاني أحد الجارين والثاني حال لأنه كان صفة لسكناً وتقدم عليه وإذا كانت جعل بمعنى خلق تعلق أحد الجارين به واكتفى بمفعول واحد وقد تقدمت الاشارة إلى ذلك . (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم) وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تقدم إعراب نظيرتها والمراد بالبيوت هنا القباب والأبنية من الأدم والأنطاع كالخيام وغيرها وجملة تستخفونها صفة لبيوتاً ويوم ظعنكم الظرف متعلق بتستخفونها ويوم إقامتكم عطف على يوم ظعنكم . (ومن أصوافها وأوبارها

وأشعارها أثاثاً ومتاعاً الى حين) ومن أصوافها عطف على من جلود الأنعام وأثاثاً معطوف على بيوتاً أي وجعل لكم من أصوافها أثاثاً فيكون من باب عطف الجار والمجرور والمنصوب على مثله ومتاعاً عطف على أثاثاً وإلى حين متعلقان بمتاعاً أو صفة له . (والله جعل لكم مما خلق ظلالاً) تقدم إعرابها . (وجعل لكم من الجبال أكناناً) تقدم إعرابها أيضاً . (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) جملة تقيكم الحر صفة لسرابيل وحذف المعطوف للعلم به أي والبرد . (وسرابيل تقيكم بأسكم) وسرابيل عطف على سرابيل الأولى وجملة تقيكم صفة وتقيكم فعل مضارع وفاعل مستتر والكاف مفعوله الأول وبأسكم مفعوله الثاني والمراد بها الدروع والجواشن . (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) كذلك نعت مصدر محذوف وقد تقدم كثيراً ويتم نعمته فعل وفاعل مستتر ومفعول به ولعل واسمها وجملة تسلمون خبرها . (فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين) الفاء استئنافية وان شرطية وتولوا فعل الشرط وأصله تتولوا فحذفت إحدى التاءين ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً والكلام فيه التفات ولعله أولى وجواب إن محذوف أي فلا غضاضة عليك والفاء تعليلية وإنما أداة حصر كافة ومكفوفة وعليك البلاغ خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والمبين صفة .

البلاغة :

معنى التشبيه هنا التمثيل ، أي ان الساعة لما كانت آتية ولا بد جعلت من القرب بمثابة لمح البصر ، واللمح النظر بسرعة ، ولا بد فيه من زمان تنقلب فيه الحدقة نحو المرئي ، وكل زمان قابل للتجزئة ، وقال الزجاج : « لم يرد ان الساعة تأتي في لمح البصر وانما وصف سرعة القدرة على الاتيان بها لأنه يقول للشيء كن فيكون » وقيل : المعنى هي عند الله كذلك وان لم تكن عند المخلوقين بهذه الصفة .

يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾

اللغـــة :

(يستعتبون) : يسترضون وقـد اختلفت عبارات المفسرين فيها فلنرجع الى كتب اللغة . قال في المختار : عتب عليه وجـد وبابه ضرب ونصر ومعتباً أيضاً بفتح التاء والتعتب كالعتب والاسم المعتبـة بفتح التاء وكسرها وقال الخليل : العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة وعاتبه معاتبة وعتاباً وأعتبه سره بعـد ما أساءه والاسم منـه العتبى واستعتب وأعتب بمعنى . واستعتب أيضاً طلب أن يعتب تقول استعتبه فأعتبـه أي استرضاه فأرضاه » وفي الأساس : « واستعتبه استرضاه « وما بعد الموت مستعتب » وبينهم أعتوبة إذا كانوا يتعاتبون . تقول : سمعت منهـا أعتوبة ، لم تكن إلا أعجوبـة . وعتابك السيف وعاتبت المشيب قال النابغة :

على حـين عاتبت المشيب عـلى الصبا
وقلـت : ألمّـا أصحُ والشيب وازع

أي قلت للشيب : ما أقبح بك أن تصبو وعلى : من صلة عاتبت كما تقول عاتبته على الذنب » .

(نبعث) : نرسل ، وفي القاموس وغيره : بعثه يبعثه من باب فتح بعثاً وتبعاثاً أرسله وحده وبعث به أرسله مع غيره وبذلك يتضح صواب أبي الطيب المتنبي في قوله :

فآجرك الإلـــه على عليل بعثت إلى المسيح به طبيبـا

وقد أخطأ الصاحب في نقده لهذا البيت لأنه عدى بعث بالباء بحجة أن بعث يتعدى الى العاقل بنفسه والى غـير العاقل بالباء وقـد صرفه تحامله على أبي الطيب عن التأمل في قصة البيت فقد ذكر الواحدي في كتابه قال سمعت الشيخ كريم بن الفضل قال سمعت والدي أبا بشر قاضي القضاة قال : أنشدني أبو الحسين الشامي الملقب بالمشوق قال كنت عند المتنبي فجاء وكيل علي بن محمـد بن سيار بن مكرم وكان يحب الرمي فلما دخل عليه أنشده أبياتاً سخيفة فنظـم المتنبي قصيدته الرائعة في مديح علي بن مكرم والتي مطلعها :

ضروب النـاس عشاق ضروبا فأعـــذرهم أشفهـــم حبيبا

وفيها يصف قوسه بأبيات ما لحسنها نهاية نثبتها فيما يلي :

أعزمي طال هذا الليـل فانظر أمنك الصبح يفرق أن يئوبا

كـأن الفجر حِبٌّ مستزار يراعي من دجنتـه رقيبـا

كأن نجومـه حلي عليـه وقد حُذيت قوائمـه الجبوبا

كـأن الجو قاسى ما أقاسي فصار سواده فيـه شحوبا

كأن دجاه يجـذبها سهادي فليس تغيب إلا أن تغيبا
أقلب فيه أجفاني كأني أعد به على الدهر الذنوبا
وما ليل بأطول من نهار يظل بلحظ حسادي مشوبا
وما موت بأبغض من حياة أرى لهم معي فيها نصيبا

ثم يتطرق إلى مديح علي بن مكرم ويشير الى قصة وكيله الشاعر انسخيف :

تيممني وكيلك مادحاً لي وأنشدني من الشعر الغريبا
فآجرك الإله على عليل بعثت الى المسيح به طبيبا

وعبر عنه بما لا يعقل لأنه عدى البعث بحرف الجر أو انه من جملة الهدايا التي بعث بها اليه ولكنها هدية منكرة إذ يقول :

ولست بمنكر منك الهدايا ولكن زدتني فيها أديبا

أما أبيات الوكيل فهي تافهة غير مستقيمة الوزن ولهذا أعرضنا عنها .

الاعراب :

(يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) يعرفون نعمة الله يعرفون فعل مضارع والواو فاعل ونعمة الله مفعول به وثم حرف عطف للتراخي ينكرونها عطف على يعرفون وعطف بثم للدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد توفر دلائل المعرفة ، وأكثرهم الواو

للحال وأكثرهم مبتدأ والكافرون خبره أو بالعكس أي انهم كانوا يعرفون وينحرفون . (ويوم نبعث من كل أمة شهيداً) الظرف متلق بمحذوف أي اذكر وجملة نبعث مضاف اليها الظرف ومن كل أمة حال لأنه كان في الأصل صفة لشهيداً وشهيداً مفعول به . (ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون) ثم حرف عطف للتراخي ولا نافية ويؤذن فعل مضارع مبني للمجهول وللذين متعلقان به وقد اختلفت الآراء في هذا الإذن وأصحها أنه لا يؤذن لهم في الاعتذار لا سيما وان لها مثيلا في القرآن وهو قوله « ولا يؤذن لهم فيعتذرون » ولا الواو عاطفة ولا نافية وهم مبتدأ وجملة يستعتبون خبر وإنما عطف بثم لطول المدة التي كانت مغبتها منعهم من الكلام . (وإذا رأى الذين ظلموا العذاب) الواو عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة رأى مضافة الى الظرف والذين فاعل رأى وجملة ظلموا صلة والعذاب مفعول به والفاء رابطة لجواب اذاء (فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) الفاء رابطة لجواب اذا ولا نافية ويخفف فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر أي العذاب ولا عاطفة وهم مبتدأ وجملة ينظرون خبر . (وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) تقدم نظيرتها وشركاءهم مفعول رأى . (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) جملة قالوا لامحل لها لأنها جواب إذا وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وهؤلاء مبتدأ وشركاؤنا خبر والذين صفة شركاؤنا وجملة كنا صلة وكان واسمها وجملة ندعو خبر كنا ومن دونك حال من مفعول ندعو المحذوف أي ندعوهم ونعبدهم من دونك .

(فألقوا اليهم القول إنكم لكاذبون) الفاء عاطفة وألقوا فعل وفاعل وهو الشركاء واليهم متعلقان بألقوا والقول مفعول به وإنكم لكاذبون ان واسمها واللام المزحلقة وخبرها والجملة مقول القول .

وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

الاعراب :

(وألقوا الى الله يومئذ السلم) الواو عاطفة وألقوا فعل وفاعل وهو الكفار والى الله جار ومجرور متعلقان بألقوا ويومئذ ظرف أضيف إلى ظرف مثله والتنوين عوضاً عن جملة وقد مرّ مثاله كثيراً والسلم مفعول به • (وضل عنهم ما كانوا يفترون) الواو عاطفة وضل فعل ماض وعنهم متعلقان به وما فاعل ضل وجملة كانوا صلة وكان واسمها وجملة يفترون خبر كانوا • (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون) الذين مبتدأ خبره جملة زدناهم وجملة كفروا صلة وصدوا عن سبيل الله عطف على كفروا ، وزدناهم فعل وفاعل ومفعول به وعذاباً مفعول به ثان وفوق العذاب ظرف متعلق

بمحذوف صفة لعذاباً وبما متعلقان بزدناهم والباء للسببية وما مصدرية أي بسبب صدهم وإفسادهم وكان واسمها وجملة يفسدون خبرها . (ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم) الظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر وقد تكررت هذه الجملة مبالغة في التهديد والوعيد وجملة نبعث مضافة للظرف وفي كل أمة متعلقان بنبعث وشهيداً مفعول به وعليهم متعلقان بشهيداً ومن أنفسهم صفة لشهيداً (وجئنا بك شهيداً على هؤلاء) وجئنا الواو عاطفة وجئنا فعل وفاعل وبك جار ومجرور متعلقان بجئنا وشهيداً حال وعلى هؤلاء متعلقان بشهيداً . (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) ونزلنا عطف على جئنا ونا فاعل وعليك متعلقان بنزلنا والكتاب مفعول به وتبياناً مفعول لأجله أو حال أي مبيناً ولكل شيء متعلقان بتبياناً وهدى ورحمة وبشرى عطف على تبياناً وللمسلمين متعلقان ببشرى وهو متعلق بالمصادر الأخرى المتقدمة من حيث المعنى . (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى) إن واسمها وجملة يأمر خبر إن وبالعدل متعلقان بيأمر والاحسان عطف على العدل وكذلك إيتاء وذي القربى مضاف لإيتاء . (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) وينهى عطف على يأمر والفاعل مستتر وعن الفحشاء متعلقان بينهى وما بعده عطف عليه وجملة يعظكم حال من فاعل يأمر وينهى ولعل واسمها وجملة تذكرون أي تتذكرون خبرها .

البلاغة :

اتفق علماء البلاغة والمفسرون جميعاً على أن هذه الآية أجمع آية في القرآن للخير والشر وهي قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان الخ » وقد أمر عمر بن عبد العزيز الخليفة الصالح بتلاوتها

بدلا من القذف الذي كان يعقب خطب الجمعة بالإمام علي بن أبي طالب وبسببها أسلم عثمان بن مظعون ؛ وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على الوليد بن المغيرة فقال له : يا ابن أخي أعد فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم قراءتها عليه فقال له : إن له لحلاوة . وإن عليه لطلاوة . وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر .
وقد اشتملت في الواقع على أفانين من البلاغة نبينها فيما يلي :

١ ــ الايجاز : فقد أمر في أول الآية بكل معروف ونهى بعد ذلك عن كل منكر وختم الآية بأبلغ العظات وصاغ ذلك في أوجز العبارات .

٢ ــ صحة التقسيم : فقد استوفى فيها جميع أقسام المعنى فلم يبق معروف إلا وهو داخل في نطاق الأمر ولم يبق منكر إلا وهو داخل في حيز النهي ، وقدم ذكر العدل لأنه واجب وتلاه بالإحسان لأنه مندوب ليقع نظم الكلام على أحسن ترتيب وقرنهما في الأمر لأن الفرض لا يخلو من خلل وتفريط يجبره الندب والنوافل وخص ذا القربى بالذكر بعد دخوله في عموم من أمر بمعاملته بالعدل والاحسان لبيان فضل ذي القربى وفضل الثواب عليه .

٣ ــ الطباق اللفظي والمقابلة بين يأمر وينهى وبين العدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وبين الفحشاء والمنكر والبغي .

٤ ــ حسن النسق : في ترتيب الجمل وعطفها بعضها على بعض كما ينبغي حيث قدم العدل وعطف عليه الاحسان لكون الاحسان اسماً عاماً وإيتاء ذي القربى خاص فكأنه نوع من ذلك الجنس ثم أتى بجملة الأمر مقدمة وعطف عليها جملة النهي .

٥ ــ التسهيم : لأن صدر الكلام يدل على عجزه كدلالة صدر البيت المسهم على عجزه .

٦ ـ حسن البيان : لأن لفظ الآية لا يتوقف من سمعه في فهم معناه إذ سلم من التعقيد في لفظه ودل على معناه دلالة واضحة بأقرب الطرق وأسهلها واستوى في فهمه الذكي والغبي •

٧ ـ الإئتلاف : لأن كل لفظة لا يصلح مكانها غيرها •

٨ ـ المساواة : لأن ألفاظ الكلام قوالب لمعانيـه لا تفضل عنها ولا تقصر دونها •

٩ ـ تسكين الفاصلة : لأن مقطـع الآية مستقر في حيزه ثابت في مقره وقراره معنـاه متعلق بما قبله الى أول الكـلام ولأنه لا تحسن الموعظة إلا بعد التكليف ببيان الأمر والنهي ولأن أي لفظة حذفتها من ألفاظ الآية يختل المعنى بحذفها اختلالاً ظاهراً وينقص نقصاً بيّناً •

وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

اللغـــة :

(توكيدها) : توثيقها والتوكيد مصدر وكد يوكد بالواو وفيه لغة أخرى أكد يؤكد بالهمز ومعناه التقوية وهذا كقولهم ورخت الكتاب وأرخته وليست الهمزة بدلاً من واو كما زعم بعضهم لأن الاستعمالين في المادتين متساويان فليس ادعاء كون أحدهما أصلاً أولى من الآخر .

(أنكاثاً) : جمـع نكث بكسر النون وهو ما ينكـث فتله وفي المصباح : « نكث الرجل العهد نكثاً من باب قتل نقضه ونبذه فانتكث مثل نقضه فانتقض ونكث الكساء وغـير نقضه أيضاً والنكث بالكسر ما نقض ليغزل ثانية والجمع أنكاث مثل حمل وأحمال وفي القاموس : « النكث بالكسر ما نقض من الأكسية والأخبية ليغزل ثانية وجمعـه أنكاث ، يقال : حبل نكث وأنكاث أي منكوث » .

(دخلاً) :مفسدة ودغلاً وفي الصحاح الدغل بالتحريك الفساد مثل الدخل وفي المعاجم الدخل العيب وفي القاموس والتاج : « الدخل بفتحتين ما داخـل الإنسان من فساد في العقـل أو الجسم والخديعة والعيب في الحسب والقوم الذين ينتسبون إلى من ليسوا منهـم ومن غريب أمر الدال والخاء أنهما لا تجتمعان إلا دلتا عـلى فساد أو ظلام فالدَّخ والدُّخ بفتح الدال وضمها الدخان وناهيك بظلمته واربداده قالت امرأة أعرابية لزوجها وكان قد كبر :

لا خير في الشيخ إذا ما أجلخا	وسال غرب عينـــه ولخـا
وكان أكـــلا قاعدا وشخـا	تحت رواق البيت يغشى الدخا
وانثنت الرجل فصارت فخـا	وصار وصـل الغانيات أخـا

ودخر : ذل وصغر وأدخره أذله ودخس الحافر بكسر الخاء أصابه داء الدخس بسكون الخاء وهو ورم في الحافر والدخس بضم الدال وسكون الخاء دابة في البحر والدخيس الملتف من الكلأ وإذا التف فقد قارب السواد والعدد الكثير واللحم المكتنز وتداخلت الأمور التبست وتشابهت والدخل بفتح الدال وسكون الخاء ما دخل عليك من مالك ويقابله الخرج وهو مفسدة لصاحبه ما لم يؤدّ زكاته وما يترتب عليه ومنه سميت ضريبة الدخل ودخلة الرجل بتثليث الدال داخلته وهي محتجبة بظلمة الخفاء والدخيل من دخل في قوم وانتسب اليهم وليس منهم فهو في لبس من أمره وقلما يكون صالحاً وداء دخيل أي داخل في أعماق البدن وكل كلمة أعجمية أدخلت في كلام العرب ودخمه دفعه بازعاج ودخن الطعام واللحم وغيرهما أصابه الدخان في حال طبخه أو شيه فتغلبت رائحة الدخان على طعمه فهو دخن والدخن بفتحتين الحقد والفساد وتغير العقل والدين والحسب يقال: « لست أصالحه على دخن » أي على مكر وفساد والدخي بفتح الدال المشددة الظلمة وليلة دخياء مظلمة وهذا من عجائب اللغات .

(أربى) أزيد عدداً وأوفر مالاً .

الاعراب :

(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) الواو عاطفة وأوفوا فعل أمر وفاعل وبعهد الله جار ومجرور متعلقان بأوفوا وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة عاهدتم مضاف اليها الظرف. (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) الواو عاطفة ولا ناهية وتنقضوا مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والأيمان مفعول به

وبعد ظرف متعلق بتنقضوا وتوكيدها مضاف اليه والواو حالية والجملة حال من فاعل تنقضوا وقد حرف تحقيق وجعلتم الله فعل وفاعل ومفعول به وعليكم متعلقان بكفيلاً وكفيلاً مفعول به ثان لجعلتم • (إن الله يعلم ما تفعلون) تقدم إعراب مثيلتها كثيراً • (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً) الواو عاطفة ولا ناهية وتكونوا مجزوم بها وكان واسمها والكاف خبرها وجملة نقضت صلة وغزلها مفعول به ومن بعد قوة حال من فاعل نقضت أو من مفعوله أي محكمة له أو محكماً وانكاثاً منصوب بفعل محذوف أي فجعلته انكاثاً أو بتضمين نقضت معنى صيرت فهو مفعول ثان وجوّز الزجاج فيه وجهاً آخر وهو النصب على المصدرية لأن معنى نقضت نكثت فهو مطابق لعامله في المعنى وقيل هو حال من غزلها أي منقوضاً وستأتي قصة هذه المرأة في باب الفوائد • (تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة) جملة تتخذون حال من ضمير تكونوا أي لا تكونوا مثلها متخذين أيمانكم دخلاً وتتخذون فعل مضارع وفاعل وأيمانكم مفعول به أول ودخلا مفعول به ثان وبينكم صفة لدخلاً وأن وما في حيزها مصدر في محل نصب مفعول لأجله أي مخافة أن تكون وأمة اسم تكون وهي مبتدأ وأربى خبر والجملة خبر تكون ومن أمة جار ومجرور متعلقان بأربى ، كانوا يحالفون الحلفاء ويقطعون العهود والمواثيق فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز جانباً نقضوا حلف أولئك وحالفوا هؤلاء •
(إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) إنما كافة ومكفوفة وهي للحصر ويبلوكم الله فعل ومفعول مقدم وفاعل مؤخر وبه متعلقان بيبلوكم وليبينن الواو عاطفة واللام موطئة للقسم ويبينن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وجوباً ولكم متعلقان بنبينن ويوم القيامة ظرف متعلق بمحذوف حال

وما مفعول به وكنتم صلة وهي كان واسمها وفيه جار ومجرور متعلقان بتختلفون وجملة تختلفون خبر كنتم . (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) الواو عاطفة ولو شرطية وشاء الله فعل وفاعل واللام واقعة في جواب لو وجعلكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول وأمة مفعول به ثان وواحدة صفة . (ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء) الواو حالية ولكن حرف استدراك مهملة لأنها خففت ، ويضل فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو ومن مفعول به ويشاء صلة ويهدي من يشاء عطف على ما تقدم . (ولتسألن عما كنتم تعملون) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وتسألن فعل مضارع معرب لأن النون لم تباشره فهو مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين نائب فاعل والنون المشددة هي نون التوكيد الثقيلة وعما متعلقان بتسألن وجملة كنتم تعملون خبر كنتم .

الفوائد :

روى التاريخ أن امرأة حمقاء اسمها ريطة بنت سعد بن تميم من مكة اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن فالكلام تشبيه تمثيلي مرسل والمشبه به معين .

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ

بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

الاعراب :

(ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم) كرره تأكيداً مع التصريح بالنهي عنه مبالغة في قبحه (فتزل قدم بعد ثبوتها) الفاء فاء السببية المسبوقة بالنهي وتزل مضارع منصوب بإضمار أن وقدم فاعل وبعد ظرف متعلق بتزل وثبوتها مضاف اليه . (وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم) وتذوقوا عطف على تزل والسوء مفعول به والباء حرف جر وهي للسببية وما مصدرية وهي مع مدخولها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بتذوقوا وعن سبيل الله متعلقان بصددتم ولكم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وعظيم صفته . (ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً) الواو عاطفة ولا ناهية وتشتروا فعل مضارع مجزوم بلا وبعهد الله متعلقان بتشتروا فالباء داخلة على المتروك وثمناً مفعول به وقليلاً صفة (إن ما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون) إن واسمها والظرف صلة ما وهو مبتدأ وخير خبر والجملة خبر ان ولكم متعلقان به وإن شرطية وكنتم في محل جزم فعل الشرط

والتاء اسم كان وجملة تعلمون خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله أي فلا تنقضوا (ماعندكم ينفد وما عند الله باق) ما اسم موصول مبتدأ وعندكم ظرف متعلق بالصلة وجملة ينفد خبر ما ومثلها وما عند الله باق . (ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) اللام موطئة للقسم ونجزين فعل مضارع مبني على الفتح لتأكيده بالنون المشددة والفاعل مستتر تقديره نحن والذين صبروا مفعوله وأجرهم مفعول ثان لنجزين وبأحسن جار ومجرور متعلقان بنجزين وهو صفة لمحذوف أي بجزاء أحسن ، وما مصدرية وكان واسمها وجملة يعملون خبرها ولك أن تجعل ما موصولة والتقدير بجزاء أحسن من عملهم الذي كانوا يعملونه في الدنيا أو نجعل الأجر متناسباً مع الأحسن من أعمالهم . (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) من اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وعمل فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ومن ذكر متعلقان بمحذوف حال من فاعل عمل وأو حرف عطف وأنثى عطف على ذكر وهو الواو حالية وهو مبتدأ ومؤمن خبر والجملة حالية فلنحيينه الفاء رابطة واللام موطئة للقسم ونحيينه فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والهاء مفعول به وحياة مفعول مطلق وطيبة صفة وجملة فلنحيينه جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من ولك أن تجعل من اسماً موصولاً والفاء الداخلة لما في الموصوف من رائحة الشرط فتكون جملة فلنحيينه خبره .

(ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) تقدم إعرابها وسيأتي مزيد بيان لهذه الآيات في باب البلاغة .

البلاغـة :

١ ـ في قوله تعالى « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن إلى آخر الآية » فنون شتى أبرزها التتميم وقد تقدم القول فيه وتكرر في هذه الآية مرتين الأولى في قوله من ذكر أو أنثى لأن من الشرطية أو الموصولية تفيد العموم فكان لا بـد من تتميمها بذلك للتأكيد وإزالة لوهم التخصيص جرياً على معتقدات العرب القديمة في تفضيل الذكر على الأنثى وإيثاره بكل ما هو خير والثانية في قوله وهو مؤمن وقـد اختلفت الآراء في هذا التميم وما هو المراد بالحياة الطيبة التي ينالهـا من هو بهذه المثابة وأحسن ما نختاره منها قول الزمخشري وننقله بنصه لفائدته قال وأبدع :

« وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يعيش عيشاً طيباً إن كان موسراً فلا مقال فيه وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله وأما الفاجر فأمره على العكس إن كان معسراً فلا إشكال في أمره على حد قول أبي دلامة :

ما أحسن الـدين والـدنيا إذا اجتمعـا

وأقبـح الكفر والإفـلاس في الرجـل

وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يهنأ بعيشه » ويؤيد هـذا ما نراه من انهماك النوع البشري في ابتكار وسائل التدمير والخراب للاستعلاء والاستغلال والسيطرة على العالم وهيهات !!

٢ ـ وفي قوله « فتزل قدم بعد ثبوتها استعارة تمثيلية للمستقيم الحال يقع في شر عظيم ويسقط فيه لأن القدم إذا زلت نقلت الانسان

من حال خير الى حال شر ويقال لمن أخطـأ في شيء زلت به قدمه ومنه قول زهير :

تداركتما عبساً وقد ثل عرشها وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

٣ ــ وفي قوله « فتزل قـدم بعد ثبوتها الخ » توحيد القـدم وتنكيرها والسر في ذلك استعظام أن تزلّ قدمواحدة عن طريق الحق بعد أن توطأ لها مهاده وثبتت عليه فكيف بأقـدام كثيرة وفيه تقليل للواعي من الناس لما يقضي بسداد الرأي واستقامتـه ومن جنس افادة التنكير هنا للتقليل إفادته له في قوله تعالى : « وتعيها اذن واعية » وفي قوله « اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغـد » فنكر الاذن والنفس تقليلاً للواعي من الناس لما يقضي بسداده •

فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ (١٠٠) وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)

الاعراب :

(فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الفاء استئنافية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق باستعذ وجملة قرأت مضاف إليها الظرف والقرآن مفعول به أي إذا أردت قراءة القرآن ، والفاء رابطة للجواب واستعذ فعل أمر وفاعله أنت وبالله متعلقان باستعذ وكذلك يتعلق باستعذ من الشيطان ، والرجيم صفة . (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) الجملة تعليلية للأمر وان واسمها وجملة ليس خبرها وله خبر مقدم لليس وسلطان اسمها المؤخر وعلى الذين جار ومجرور متعلقان بسلطان لأنه مصدر بمعنى التسلط أي الاستيلاء والقهر والتمكن وآمنوا صلة وعلى ربهم متعلقان بيتوكلون . (إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) إنما كافة ومكفوفة وسلطانه مبتدأ وعلى الذين خبر وجملة يتولونه من الفعل والفاعل والمفعول به صلة الموصول وعائده والذين عطف على الذين الأولى وجملة هم مشركون صلة وهم مبتدأ وبه متعلقان بشركون ومشركون خبر هم . (وإذا بدلنا آية مكان آية) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل وبدلنا فعل وفاعل وآية مفعول به ومكان مفعول ثان لبدلنا أو ظرف مكان متعلق ببدلنا وآية مضاف إليه . (والله أعلم بما ينزل قالوا) الواو اعتراضية والجملة معترضة بين شرط إذا وجوابها لا محل لها والله مبتدأ وأعلم خبر وبما متعلقان بأعلم وينزل صلة وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب إذا . (إنما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون) الجملة مقول القول وإنما كافة ومكفوفة وأنت مبتدأ ومفتر خبر وبل حرف اضراب وأكثرهم مبتدأ وجملة لا يعلمون خبر وحذف مفعول يعلمون للعلم به أي حقيقة التبديل والنسخ وفائدتهما . (قل نزله روح

القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) جملة نزله مقول قل وهو فعل ومفعول به مقدم وروح فاعل مؤخر والقدس مضاف اليه من إضافة الموصوف لصفته أي الروح المقـدس وهو جبريل ومن ربك متعلقان بنزله وبالحق حال أي ملتبساً بالحق ، وليثبت اللام لام التعليل ويثبت فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والفاعل هو والذين مفعول به وآمنوا صلة وليثبت في محل نصب مفعول لأجله وجر باللام لأن المصدر ليس بقلبي ولاختلاف الفعل لأن المنزل هو جبريل والمثبت هو القرآن • (وهدى وبشرى للمسلمين) هذان المصدران معطوفان على محل ليثبت أي تثبيتا وهداية وبشرى •

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾

اللغـــة :

(يلحـدون) : يميلون ولحدت القبر وألحدته وقبروه في لحد وملحود ولحد للميت وألحد له حفر له لحداً ولحد الميت وألحده جعله

في اللحد ولحد السهم عن الهدف وألحد ، وألحد في دين الله ولحد عن القصد عدل عنه وألحد في الحرم ولحد إليه مال إليه والتحد اليه : التجأ ومالي دونه ملتحد قال ذو الرمة :

إذا استوسجت آذانها استأنست لها
أناسيّ ملحود لها في الحواجب

الاعراب :

(ولقد نعلم أنهم يقولون) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وقد حرف يراد به التكثير هنا ونعلم فعل مضارع وفاعل مستتر وان ومافي حيزها سدت مسدّ مفعولي نعلم وأن واسمها وجملة يقولون خبرها . (إنما يعلمه بشر) الجملة مقول قولهم وإنما كافة ومكفوفة ويعلمه بشر فعل ومفعول به مقدم وبشر فاعل مؤخر وهو قين أي حداد رومي اسمه جبرٌ بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة وهو غلام عامر بن الحضرمي وقيل يعنون جبراً ويساراً وكانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرأانه وقيل غير ذلك مما لا يخرج عن الصدد . (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) لسان مبتدأ والذي مضاف إليه وجملة يلحدون إليه صلة وأعجمي خبر لسان أي غير مبين وهذا مبتدأ وعربي خبر ومبين صفة وهذا تأكيد على عروبة لغة القرآن ووجه الجواب ان الذي يعزون إليه أنه يعلم النبي القرآن رجل أعجمي في لسانه لكنة وعجمة تمنعانه من الإفصاح والإبانة ومحمد صلى الله عليه وسلم الذي جاءكم بهذا القرآن المبين الذي عجزتم عن الإتيان بسورة

من مثله • (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم) إن واسمها وجملة لا يؤمنون صلة وبآيات الله متعلقان بيؤمنون وجملة لا يهديهم الله خبر إن والواو عاطفة ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وأليم صفته • (إنما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله) إنما كافة ومكفوفة ويفتري فعل مضارع والكذب مفعول به مقدم والذين فاعل مؤخر وجملة لايؤمنون بآيات الله صلة • (وأولئك هم الكاذبون) الواو اعتراضية وأولئك مبتدأ وهم ضمير فصل أو مبتدأ ثان والكاذبون خبر أولئك أو خبر هم والجملة خبر أولئك وجملة أولئك هم الكاذبون معترضة •

(من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) أولى الأعاريب التي ذكرها المعربون لمن أن تكون بدلاً من الذين لا يؤمنون بآيات الله وتكون جملة وأولئك هم الكاذبون اعتراضاً بين البدل والمبدل منه والمعنى إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ويجوز على بعد أن تعربه مبتدأ خبره جملة فعليهم والفاء زيدت لتضمن الموصول معنى الشرط وجملة كفر بالله صلة كما يجوز أن تعرب من شرطية وبالله جار ومجرور متعلقان بكفر ومن بعد إيمانه حال وإلا أداة استثناء ومن مستثنى متصل لأن الكفر يكون بالقول من غير اعتقاد وقيل هو منقطع لأن الكفر اعتقاد والاكراه على القول دون الاعتقاد كالمكره وجملة أكره صلة الموصول ، وقلبه الواو حالية وقلبه مبتدأ ومطمئن خبر وبالايمان متعلقان بمطمئن • (ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) ولكن الواو استئنافية ولكن حرف مشبه بالفعل واسمها ضمير الشأن ومن مبتدأ وشرح فعل الشرط إن جعلتها صلة وصلة إن جعلتها موصولاً والله فاعل وصدراً

تمييز أي طاب به نفساً واعتقده ، فعليهم الفاء رابطة وعليهم خبر مقدم وغضب مبتدأ مؤخر ومن الله صفة ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وعظيم صفة •

البلاغـة :

الالجـاء :

في قوله تعالى : « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر إلخ » وقول الله تعالى جواباً لهذا القول : « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » والإلجاء فن لم يذكره علماء البديع كثيراً وقد تكلم عنه أسامة بن منقذ في بديعه تحت اسم الالتجاء والمغالطة ، وهو أن تكون صحة الكلام المدخول ظاهرة موقوفه على الإتيان فيه بما يبادر الخصم إلى رده بشيء يلجئه الى الاعتراف بصحته ، أو بعبارة أوضح : لكل كلام يرد فيه على المعترض عليه جواب مدخول إذا دخله الخصم به التجأ إلى تصحيح الجواب كقوله تعالى الآنف الذكر فإن للخصم أن يقول : نحن أردنا القصص والاخبار ونحن نعلم أن الأعجمي إذا ألقى الكلام إلى العربي لا يخرجه عن كونه تعلم معانيه من الأعجمي فظاهر الكلام لا يصح أن يكون رداً على المشركين فيقال لهم : هب الأعجمي علّمه المعاني فهذه العبارة الهائلة التي قطعت أطماعكم عن الاتيان بمثلها من علمها له ؟ فإن كان هو الذي أتى بها من قبل نفسه فقد أقررتم أن رجلاً واحداً منكم أتى بهذا المقدار من الكلام الذي هو مائة سورة وأربع عشرة سورة وقد عجزتم بأجمعكم وكل من تدعون من دون الله عن الاتيان بأقصر سوره فإن قلتـم إن الأعجمي علمه المعاني والألفاظ فهذا أشد عليكم لأنه إقرار بأن رجلاً أعجمياً قدر على بـين الآيات المتضمنة للأخبار والقصص وقد عجزتم عن ثلاث آيات منهن ، يلجئهم ذلك الى الإقرار بأنه من عند الله •

الفوائــد :

قصة عمار بن ياسر :

روى التاريخ أن ناساً من أهل مكــة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان منهم عمار بن ياسر وأبواه ياسر وسمية و صهيب و بــلال وخباب وسالم عذبوا فأما سمية أم عمــار فربطوها بين بعــيرين وضربها أبو جهل بحربة في قلبهــا فماتت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام وأما عمار فإنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرهاً فقيــل يارسول الله إن عماراً كفر ، فقال : كلا إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما وراءك ؟ قال : شر يا رسول الله نلت منك فذكرت فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال : إن عادوا لك فقل لهم ما قلت إلى آخر هذه القصة الممتعة التي يرجع اليهــا في المطولات .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ

جَـٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ * يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١١١﴾

اللغـة :

(النفس) يؤخـذ من مجموع أقوال المعاجم العربية أن النفس مصدر وهي أيضاً الروح والدم يقال دفق نفسه أي دمه والجسد يقال هو عظيم النفس أي الجسد والعين يقال أصابته نفس أي عين وشخص الانسان ، ونفس الشيء عينه ويؤكد به فيقال : جاءني هو نفسه وبنفسه ونفس الأمر حقيقته والنفس أيضاً العظمة والهمة والعزة والأنفة والإرادة والرأي والعقوبة والماء ، والنفس مؤنث إن أريد بها الروح نحو خرجت نفسه ومذكر إن أريد بها الشخص نحو عندي خمسة عشر نفساً والجمع أنفس ونفوس ويقال في نفسي أن أفعل شيئاً أي قصدي ومرادي أن أفعل كذا وفلان يؤامر نفسيه ويشاورهما أي يتردد في الأمر ويتجه له رأيان لا يدري على أيهما يثبت وخرجت نفسه وجاد بنفسه اذا مات ، أما معنى النفس عند الفلاسفة فمرجعه علم النفس وليس هذا مكانه والخلاف فيه طويل وقد أصاب أبو الطيب حيث قال :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
إلا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة
وقيل تشرك جسم المرء في العطب

ومن تفكــر في الــدنيا ومهجــته

أقامــه الفكر بـين الهــمّ والتعب

من قصيدة الرئيس ابن سينا في النفس :

هذا ومن المفيد أن نقتبس هنا أبياتاً مختــارة من قصيدة الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا في النفس :

هبطـت إليك من المحـل الأرفـع

ورقـــاء ذات تعـزّز وتمنــع

محجوب عن كــل مقلــة عــارف

وهي الــتي سفرت ولــم تتبرقــع

وصلت عــلى كــره اليك وربمــا

كــرهت فراقك وهي ذات توجــع

أنفـت وما أنست فلمــا واصلـت

ألفت مجــاورة الغراب الأبقــع

وأظنهــا نسيت عهــوداً بالحمــى

ومنــازلاً بفراقهــا لــم تقنــع

حتى إذا اتصلـت بهــاء هبوطهــا

عن ميــم مركزهــا بذات الاجـرع

علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت
بين المعالم والطلول الخضّع
تبكي وقد ذكرت عهوداً بالحمى
بمدامع تهمي ولما تقلع
وتظل ساجعة على الدمن التي
درست بتكرار الرياح الأربع

ويطول بنا القول إن حاولنا شرح ما رمزت إليه هذه الأبيات المقتبسة من العينية الرائعة وحاصل ما أراده أنه يتساءل : لم تعلقت النفس بالبدن ؟ إن كان رائدها غير الكمال فهي حكيمة خفية على الأذهان وإن كان رائدها الكمال فلم ينقطع تعلقها به قبل حصوله .

الاعراب :

(ذلك أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) الاشارة الى ما تقدم من ذكر الغضب والعذاب واسم الاشارة مبتدأ خبره بأنهم أي ثابت بسبب أنهم فالباء للسببية وان واسمها وجملة استحبوا خبرها أي اختاروا والحياة مفعول به والدنيا صفة وعلى الآخرة جار ومجرور متعلقان باستحبوا . (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) وأن عطف على بأنهم وأن واسمها وجملة لا يهدي خبرها والقوم مفعول به والكافرين صفة القوم . (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) أولئك مبتدأ والذين خبره وجملة

طبع الله صلة وعلى قلوبهم جار ومجرور متعلقان بطبع وسمعهم وأبصارهم عطف على قلوبهم وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثان أو ضمير فصل والغافلون خبر هم أو خبر أولئك . (لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) لا جرم تقدم القول فيها وأن واسمها وفي الآخرة متعلقان بالخاسرون وهم مبتدأ والخاسرون خبره والجملة خبر ان . (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا) ثم للترتيب مع التراخي لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك وإن واسمها وللذين خبر إن بمعنى أنه وليهم وناصرهم وجملة هاجروا صلة ومن بعد متعلقان بهاجروا وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مضاف للظرف أي من بعد فتنتهم ثم حرف عطف وتراخ وجاهدوا وصبروا عطف على هاجروا (إن ربك من بعدها لغفور رحيم) إن واسمها ومن بعدها حال واللام المزحلقة وغفور خبر إن الأول ورحيم خبرها الثاني ، هذا وقد أسهب المعربون في إعراب هذه الآية واضطربت أقوالهم اضطراباً شديداً لفرط عنايتهم وتحريهم مواقع الصواب فجهدهم مشكور ولكن لا حاجة لذلك كله والكلام واضح لا لبس فيه . (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) الظرف متعلق بمحذوف أي اذكر وجملة تأتي مضافة للظرف وكل نفس فاعل تأتي وجملة تجادل حال وعن نفسها متعلقان بتجادل وإنما جازت إضافة النفس الى النفس ومن شرط المتضايفين أن يكونا متغايرين ان المراد بالنفس الأولى الانسان وبالثاني ذاته فكأنه قال يوم يأتي كل إنسان يجادل على ذاته أي يعتذر عنها لا يهمه شأن غيره . (وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) وتوفى عطف على تجادل وكل نفس نائب فاعل وما عملت مفعول توفى الثاني وهم الواو حالية أو عاطفة وهم متدأ وجملة لا يظلمون خبر .

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾

الاعراب :

(وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان) الواو استئنافية وضرب الله مثلاً فعل وفاعل ومفعول به وقرية بدل من مثلاً أي جعل القرية الموسومة بهذه السمات مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا ، وجملة كانت صفة لقرية وكان واسمها المستتر وآمنة خبرها ومطمئنة خبر ثان وجملة يأتيها خبر ثالث وهو فعل مضارع ومفعول به متقدم ورزقها فاعل مؤخر ورغداً وصف للمصدر أي اتياناً رغداً فهو مفعول مطلق أو بمعنى راغداً فهو حال ومن كل مكان متعلقان بيأتيها . (فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) الفاء عاطفة وكفرت فعل ماض والفاعل مستتر يعود على القرية وبأنعم الله متعلقان بكفرت فأذاقها الفاء عاطفة للتعقيب وأذاقها فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ولباس الجوع والخوف مفعول ثان والباء حرف جر للسببية وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أي بسبب صنعهم أو بسبب الذي كانوا يصنعونه . (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه) الواو عاطفة واللام

موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وجاءهم رسول فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ومنهم صفة لرسول فكذبوه الفاء حرف عطف وكذبوه فعل ماض وفاعل ومفعول به . (فأخذهم العذاب وهم ظالمون) فأخذهم عطف على فكذبوه والعذاب فاعل والواو حالية وهم مبتدأ وظالمون خبر والجملة حالية .

البلاغـة :

في قوله تعالى « وضرب الله مثلا قرية » مجاز مرسل واستعارتان مكنيتان ، أما المجاز المرسل ففي قوله قرية والمراد أهلها فعلاقة المجاز المحلية إذ أطلق المحل وأريد الحال وأما الاستعارة الأولى فهي استعارة الذوق للباس فأما الإذاقة فقد كادت تجري عند العرب مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا فيقولون ذاق فلان البؤس والضرر شبّه ما يدرك منهما من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ البشع وأما اللباس فقد صح التشبيه به لأنه يشتمل على لابسه وأما الاستعارة الثانية فهي استعارة اللباس للجوع والخوف كأنما قد أحاط بهم واشتمل عليهم كما يشتمل اللباس على لابسه ، وبناء الاستعارة على الاستعارة ميدان فسيح تضل فيه الأفكار وقد ينغلق فهمه كما انغلق على ابن سنان الخفاجي في نقده للآمدي حين تناول بيت امرىء القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه … وأردف أعجازاً وناء بكلكل

فقد قال الآمدي في كتاب الموازنة « وقد عاب امرأ القيس بهذا المعنى من لم يعرف موضوعات المعاني ولا المجازات وهو في غاية الحسن والجودة والصحة وهو إنما قصد وصف أجزاء الليل الطويل فذكر

امتـداد وسطه وتثاقل صدره للـذهاب والانبعاث وترادف أُعجـازه وأواخره شيئاً فشيئاً وهذا عندي منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته وذلك أشد ما يكون على من يراعيه ويترقب تصرمه فلما جعـل له وسطاً يمتد وأعجازاً رادفة للوسط وصدراً متثاقلا في نهوضه حسن أن يستعير للوسط اسم الصلب وجعله متمطياً من أجـل امتـداده لأن تمطّى وتمدّد بمنزلة واحدة وصلح أن يستعير للصدر اسم الكلكل من أجل نهوضه وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة وأشد لمـلاءمته هنا لما استعيرت له وكذلك قول زهير :

وعرّي أفراس الصبا ورواحله

لما كان من شأن ذي الصّبا أن يوصف أبـداً بأن يقـال : ركب جواده وجرى في ميدانه ، وجمـح في عنانه ، ونحو هـذا ، حسن أن يستعار للصبا اسم الأفراس وأن يجعل النزوع عنه أن تعرى أفراسه ورواحله وكانت هذه الاستعارة أيضاً من أليق شيء بما استعيرت له »

وقال ابن سنان الخفاجي في كتابه « سر الفصاحة » : حول قول امرىء القيس :

فقلـت له لمـا تمطى بصلبـه وأردف أعجازاً ونـاء بكلكل

« إن هذا الذي ذكره الآمدي ليس بمرضي غاية الرضا وإن بيت امرىء القيس ليس من الاستعارة الجيدة ولا الرديئة بل هو وسط فإن الآمدي قد أفصح بأن امرأ القيس لما جعل لليل وسطاً ممتداً استعار له اسم الصلب وجعل متمطياً من أجل امتداده وحيث جعل له أولاً وآخراً استعار له عجزاً وكلكلاً وهذا كله إنما يحسن بعضه مع بعض فذكر

الصلب إنما يحسن من أجل العجز والوسط والتمطي من أجل الصلب والكلكل لمجموع ذلك استعارة مبنية على استعارة أخرى ». هذا ما قاله الرجلان بصدد الاستعارة المبنية على استعارة أخرى وقد غفل ابن سنان على بسموه في البلاغة عن آية القرآن وإلا ما كان أساغ لنفسه أن يذم هذه الاستعارة .

وروي أن ابن الراوندي الزنديق قال لابن الأعرابي إمام اللغة والأدب : هل يذاق اللباس ؟ فقال له ابن الأعرابي : لا بأس أيها النساس هب أن محمداً ما كان نبياً أما كان عربياً ؟ كأنه طعن في الآية بأن المناسب أن يقال فكساها الله لباس الجوع أو فأذاقها الله طعم الجوع فرد عليه ابن الأعرابي ، وقد أجاب علماء البلاغة أن هذا من تجريد الاستعارة وذلك انه استعار اللباس لما خشي الانسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال الثوب على اللابس ثم ذكر الوصف ملائماً للمستعار له وهو الجوع والخوف لأن اطلاق الذوق على إدراك الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها كانت مرشحة ، قيل وترشيح الاستعارة وان كان مستحسناً من جهة المبالغة إلا أن للتجريد ترجيحاً من حيث أنه روعي جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحاً .

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

الاعراب :

(فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً) الفاء الفصيحة أي إذا استبان لكم حال من كفر وما آل إليه أمرهم فانتهوا عما أنتم عليه وأقلعوا عن كفران النعم وكلوا واشربوا ومما متعلقان بكلوا وجملة رزقكم صلة وحلالاً حال ولك أن تجعله مفعولاً به لكلوا وطيباً صفة • (واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون) واشكروا نعمة الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وإن شرطية وكنتم فعل الشرط وكان واسمها وإياه مفعول مقدم لتعبدون وجملة تعبدون خبر كنتم • (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) إنما كافة ومكفوفة وحرم فعل وفاعل مستتر وعليكم جار ومجرور متعلقان بحرم والميتة مفعول به والدم والخنزير عطف على الميتة وما عطف أيضاً وجملة أهل صلة ولغير الله حال وبه متعلقان بأهل وقد تقدمت هذه الآية • (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم) الفاء تفريعية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ واضطر فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط ونائب الفاعل مستتر يعود على من وغير باغ حال ولا عاد عطف على باغ والفاء رابطة وان واسمها وغفور خبرها الأول ورحيم خبرها الثاني والجملة في محل جزم جواب الشرط • (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا

على الله الكذب) لا ناهية وتقولوا مضارع مجزوم بلا والواو فاعل ولما تصف اللام حرف جر وما مصدرية وهي مع مدخولها في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بتقولوا وألسنتكم فاعل تصف والكذب مفعول تصف وجملة هذا حلال مقول القول فيكون المعنى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لتعودها عليه وجريانها به أي لا تحللوا ولا تحرموا لأجل قول تنطق به ألسنتكم وهو قول مدفوع لا تقوم به حجة وهذا حرام عطف على هذا حلال ولتفتروا بدل من قوله لما تصف ، وعلى الله متعلقان بتفتروا والكذب مفعول به لتفتروا ويجوز أن ينتصب الكذب مفعولاً لتقولوا ولكون جملة هذا حلال بدل منه وعندئذ تكون ما موصولة أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقولوا هذا حرام وهذا حلال وكلا الاعرابين صحيح وسائغ وأورد ابن هشام في المغني هذه الآية وعبارته : قيل في ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب وفي كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم ، أن الكذب بدل من مفعول تصف المحذوف أي لما تصفه وكذلك في رسولاً بناء على أن « ما » في « كما » موصول اسمي ويرده أن فيه إطلاق ما على الواحد من أولي العلم والظاهر أن ما كافة وأظهر منه أنها مصدرية لإبقاء الكاف حينئذ على عمل الجر وقيل في الكذب إنه مفعول لتقولوا والجملتان بعده بدل منه أي لاتقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل أو الحرمة وإما لمحذوف أي فتقولون الكذب وإما لتصف على أن ما مصدرية والجملتان محكيتا القول أي لا تحللوا وتحرموا لمجرد قول تنطق به ألسنتكم . وسيأتي معنى وصف الألسنة بالكذب في باب البلاغة. (إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون) ان واسمها وجملة يفترون صلة وعلى الله متعلقان بيفترون والكذب مفعول يفترون وجملة لا يفلحون خبر ان . (متاع قليل ولهم عذاب

أليم) متاع خبر مبتدأ محذوف أي ذلك العمل الذي هو ديدنهم متاع قليل الفائدة أومبتدأ محذوف الخبر أي لهم متاع وقليل صفة متاع ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وأليم صفة عذاب •

البلاغة :

وصف الألسنة للكذب تعبير عربي مبين للمبالغة جعلت الألسنة لاستساغتها الكذب وجريانه عليها وترديده فيما تنطق به دائماً كأنها تصفه وتجسده للسامع ومن ذلك قولهم وجهها يصف الجمال وعينها توحي بالسحر أو كأن الكذب أمر مجهول وعليهم تبيانه للناس وكشف الغطاء عن خوافيه فهو مجاز عقلي •

وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾

الاعراب :

(وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) وعلى الذين متعلقان بحرمنا وهادوا صلة الذين وما مفعول به وقصصنا صلة وعليك متعلقان بقصصنا ومن قبل متعلقان بحرمنا وقد تقدمت الاشارة الى ما خص اليهود بتحريمه وذلك في قوله تعالى : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر » الى آخر الآية من سورة الأنعام (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الواو عاطفة وما نافية وظلمناهم فعل وفاعل ومفعول به والواو حالية ولكن مخففة مهملة فهي حرف استدراك وكانوا كان واسمها وأنفسهم مفعول مقدم ليظلمون وجملة يظلمون خبر كانوا • (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) ثم حرف عطف للتراخي وان واسمها وللذين خبرها أي غفور للذين وعملوا صلة والسوء مفعول به وبجهالة في موضع الحال من الواو أي عملوا السوء جاهلين ثم تابوا عطف على عملوا ومن بعد متعلقان بتابوا وذلك مضافة لبعد وأصلحوا عطف على تابوا • (إن ربك من بعدها لغفور رحيم) إن واسمها ومن بعدها متعلقان بغفور واللام المزحلقة وغفور خبر إن ورحيم خبر ثان • (إن ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين) إن واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو أي ابراهيم وأمة خبر كان أي كان وحده أمة بذاتها لأنه اجتمعت فيه من صفات الكمال ما يجتمع في أمة تصدق فيه قول أبي نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وقانتاً خبر ثان لكان ولله متعلقان بقانتاً وحنيفاً خبر ثالث ؛ ولم

بك : لم حرف نفي وقلب وجزم ويك فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون وحذفت النون للتخفيف وقد مر ذلك في بحث خصائص كان واسم يك مستتر تقديره هو ومن المشركين خبر يك . (شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم) شاكراً خبر رابع لكان ولأنعمه متعلقان بشاكراً وجملة اجتباه خبر خامس وهداه عطف على اجتباه والى صراط جار ومجرور متعلقان بهداه ومستقيم صفة لصراط .

(وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين) عطف على ما تقدم على طريق الالتفات عن الغيبة الى التكلم لزيادة الاعتناء بشأنه وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به وفي الدنيا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لحسنة وحسنة مفعول به ثان وانه ان واسمها وفي الآخرة متعلقان بمحذوف حال واللام المزحلقة ومن الصالحين خبر ان . (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) ثم حرف عطف وأوحينا فعل وفاعل وعطفها بثم الدالة على التراخي والتباعد إشعار بالمكانة السميا والمنزلة العليا لمحمد صلى الله عليه وسلم وان أجلّ ما أوتي ابراهيم من النعمة اتباع محمد لشريعته ، وإليك متعلقان بأوحينا وأن اتبع أن مفسرة أو مصدرية فتكون منصوبة بنزع الخافض وملة ابراهيم مفعول اتبع وحنيفاً حال من ابراهيم وسيأتي بحث مجيء الحال من المضاف اليه والواو عاطفة وما نافية وكان واسمها المستتر ومن المشركين خبرها .

الفوائد :

مجيء الحال من المضاف اليه :

تأتي الحال من المضاف اليه بشروط ثلاثة :

١ ــ أن يكون المضاف جزءاً من المضاف اليه نحو « ونزعنا مافي صدورهم من غل اخواناً » فإخواناً حال من المضاف اليه وهو الضمير والصدور بعضه ونحو « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » فميتاً حال من الأخ المضاف اليه اللحم واللحم بعض الأخ

٢ ــ أو كالجزء منه مثل هذه الآية فحنيفاً حال من ابراهيم المضاف اليه الملة والملة كبعضه في صحة حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه إذ لو قيل واتبع ابراهيم لكان صحيحاً .

٣ ــ أن يكون المضاف عاملاً في الحال كأن يكون مصدراً أو وصفاً نحو « إليه مرجعكم جميعاً » فجميعاً حال من الكاف والميم المضاف اليه مرجع ومرجع مصدر ميمي عامل في الحال النصب .

إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤) ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨)

الاعراب :

(إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) إنما كافة ومكفوفة وجعل فعل ماض مبني للمجهول والسبت نائب فاعل وعلى الذين جار ومجرور متعلقان بجعل فهو بمثابة المفعول الثاني وجملة اختلفوا صلة وفيه متعلقان باختلفوا وقد تقدم أن اليهود خالفوا نبيهم موسى حيث أمرهم أن يعظموا يوم الجمعة بالتفرغ للعبادة فيه وترك الأشغال فقالوا لا نريده واختاروا السبت فشدد عليهم فيه • (وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) الواو عاطفة أو استئنافية وان واسمها واللام المزحلقة وجملة يحكم خبر إن وبينهم متعلقان بيحكم وكذلك الظرف وهو يوم القيامة وفيما متعلقان بمحذوف حال وجملة كانوا صلة وفيه متعلقان بيختلفون وجملة يختلفون خبر كانوا • (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) ادع فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والمفعول محذوف أي الناس والى سبيل ربك متعلقان بادع وبالحكمة حال أي ملتبساً بها والموعظة الحسنة عطف على الحكمة • (وجادلهم بالتي هي أحسن) وجادلهم عطف على ادع والهاء مفعول به وبالتي متعلقان بادع وهي مبتدأ وأحسن خبر والجملة الاسمية صلة التي • (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) إن واسمها وهو مبتدأ وأعلم خبر والجملة خبر إن وبمن متعلقان بأعلم وجملة ضل صلة وعن سبيله متعلقان بضل وهو مبتدأ وأعلم خبر وبالمهتدين متعلقان بأعلم • (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) الواو استئنافية وان شرطية وعاقبتم فعل ماض والتاء فاعل وهو في محل جزم فعل الشرط فعاقبوا الفاء رابطة وعاقبوا فعل أمر وفاعل وبمثل جار ومجرور متعلقان بعاقبوا وما مضاف اليه وجملة عوقبتم صلة وبه

متعلقان بعوقبتم وجملة فعاقبوا في محل جزم جواب الشرط . (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) اللام موطئة للقسم وان شرطية وصبرتم في محل جزم فعل الشرط واللام واقعة في جواب القسم لتقدمه وقد تقدم ذلك وهو مبتدأ وخير خبر وللصابرين متعلقان بخير . (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم) واصبر الواو استئنافية واصبر فعل أمر وفاعله مستتر وما صبرك الواو حالية وما نافية وصبرك مبتدأ وإلا أداة حصر وبالله خبر والواو عاطفة ولا ناهية وتحزن فعل مضارع مجزوم بلا وعليهم متعلقان بتحزن . (ولا تك في ضيق مما يمكرون) الواو عاطفة ولا ناهية وتك فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف واسم تك مستتر تقديره أنت وفي ضيق خبر تك ومما صفة لضيق وجملة يمكرون صلة . (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) إن واسمها ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر والذين مضاف اليه واتقوا صلة والذين عطف على الذين وهم مبتدأ ومحسنون خبر والجملة صلة .

البلاغة :

خواتم سورة النحل :

قوله تعالى « ولا تك في ضيق » يجوز أن يكون من الكلام المقلوب لأن الضيق وصف يكون في الانسان ولا يكون الانسان فيه ويجوز أن يراد أن في الكلام تشبيهاً فقد شبه الضيق بالشيء الذي يحيط بالانسان وهو من روائع التعبير وجوامع الكلم ولذلك روي عن ابراهيم بن حيان عندما احتضر أنه قيل له : أوص ، فقال : إنما الوصية من المال ولا مال لي ولكني أوصيكم بخواتم سورة النحل .